الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهـران　　　　　　　　كلية العلوم الاجتماعية



قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

تخصص الفلسفة والتنمية

الموسومة ب:

الفلسفة وإقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة

إعداد الطالبة:　　　　　　　　إشراف:

زيد الخير حورية　　　　　　　　أ.د محمدي رياحي رشيدة

لجنة المناقشة :

أ.د بوعرفة عبد القادر	جامعة وهران	رئيسا
أ د محمدي رياحي رشيدة	جامعة وهران	مقررا
أ .د بوكرلدة زواوي	جامعة وهران	مناقشا
د دراس شهرزاد	جامعة وهران	مناقشا

الموسم الجامعي : 2011-2012

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا الفلسفة وليس غيرها من الممارسات والنظم الفكرية ،ألأنها تتميز بالقحة الصارخة والجموح الفكري والحرية العقلية المطلقة ؟ أم لأنها لا تعرف الثبات بتاتا ؟بل وتنكر على غيرها أي استقرار أوثبات ،وهي تسعى دوما إلى تخطي الكائن كائنا ما كان صوب الممكن أو حتى اللاممكن ،كما أنها تنبش دوما عن الأسس وتغوص صوب أسس الأسس ،لا من أجل تثبيتها وإنما من أجل تحدّيها ونسفها والبحث عن غيرها ،إنها تسعى دوما إلى إعادة التأسيس كما لاحظ ايدموند هوسرل Husserl Edmund(1859-1938)* ،أنها تعرف كيف تزدري بقحة لا حصر لها لذلك يبغضها رجال الدين والسياسة ويخشاها رجال العلم فهي لا تراعي حرمات ولا خواطر ،وإنما تشاغب وتكافح دوما وبحكم طبيعتها وهي دائمة الغوص إلى الجذور من دون أن تصل إلى قاع أو مستقر لها ،كما أنها دائمة التحليق والجموح في فضاء الممكن ،تغوص إلى الجذور اللانهائية العمق ،فتعجز عن العودة إلى السطح ،وتحلق في فضاء الممكنات وتجمح في أركانه فتعجز عن العودة إلى نقطة انطلاقها ،فقد حاول كانط Emanuel Kant (1724-1804)** أن يكبح جماحها ويقيد حركتها ويحولها إلى علم ،لكنه أخفق في ذلك ،بل وأسس من حيث لا يدري لأكبر انطلاقة تأملية في تاريخ الفلسفة وكرر المحاولة فتغشتاين Luduing Wittgenstein (1889-1951)*** وغيره و لكن دون جدوى فلا سبيل إلى لجم الفلسفة أو تقييدها أو تثبيتها ضمن قوالب وافتراضات مهما كانت منطقية ،فالفلسفة دائمة النظر في ذاتها وأسسها بل إنها مهووسة بذاتها وبغيرها أيضا.

هل هذه الميزات النرجسية هي التي دعتنا للتمسك بها ،أم أننا أصبحنا في حاجة

---

*-بحث هوسرل في الفينومينولوجيا ،وأراد للفلسفة أن تكون علما صارما.

**-بحث كانط في نقد العقل المحض، وآمن إيمانا شديدا بالعقل لدرجة أنه تفاءل بإمكان معرفة كل شيء ،وبأنه لا حدود تقف عندها المعرفة العقلية

***-درس فتغشتاين المنطق الرياضي على يد بترندراسل ،وتحدث في كتابه رسالة منطقية فلسفية عن هدف الفلسفة وهو التوضيح المنطقي للأفكار.

ماسة إلى أحكامها حتى ترشدنا و نحن تائه ين في دوامة فكر أصبح يلطم بأمواجه واقعنا المعاصر ،فالأحكام الفلسفية تدهشنا بغرابتها وبعدها عن المألوف وبالمنطق السائد فيها ،بل يمكن القول أن هناك قدرا كبيرا من اللامعقول في الفلسفة تجابه به باستمرار المعقول السائد أو حتى المتخيل ،وان كانت كذلك فإنها لا تسعى إلى إلغائه وإنما تعمد إلى الكشف عن حدوده ومحدوديته ونواقصه بتحديد لا معقولها وإمكانات معقولها اللاّمحدودة.

إن هناك فضاء لا محدودا من الزمر الفكرية تحلق فيه الفلسفة وتجوبه ،لذلك وحتى نجوب هذا الفضاء الفكري الزّاخم والواسع لابد لنا أن نستقل عربة فلسفية تمكننا من سبر أغوار هذا العالم الذي حقيقة بدأ يكتنفه الغموض يوما بعد آخر.

فمنذ تسعينات القرن الماضي يشهد العالم مناقشات خصبة وجادة حول الطريقة الأمثل للتعامل مع ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات خاصة و أن التطورات الجارية تبشر بمستقبل جديد على مستوى الانجاز المادي ،فكان من نتيجة تلك التطورات أن انتشرت مصطلحات جديدة "مجتمع المعرفة" ،مجتمع المعلومات "" مجتمع الاستهلاك " "مابعد الحداثة "و مابعد المجتمع الصناعي ".

ففي العالم العربي نشر الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003"نحو إقامة مجتمع المعرفة "الذي يتركز حول سبل تجاوز المعوق الرئيسي الثالث الذي يعترض طريق التنمية الإنسانية العربية وهو نقص المعرفة.وبما أن الفلسفة لا تنتج معرفة لكنها تؤسس لها ،إذ أنها بتحدّيها المعقول السائد وأسسه وبنقدها ونقضها إيّاه تعمل على إزالة معوقات إنتاج معرفة جديدة ،وتساهم في وضع أسس هذه المعرفة الجديدة ،فلولا النقد الفلسفي الذي وجهه أمثال فرانسيس بيكونFrancis Bacon(1561-1662) وغاليليو غاليلي Galileo Galilei (1564-1642)ورينيه ديكارت Renè Descartes(1595-1650)وغيرهم صوب الفكر السكولائي السائد في القرنين السادس عشر والسابع عشر لما أتيح لإسحق نيوتن Neoton Isaac(1642-1727)بناء ماكينته الفيزيائية المريّضة بقدراتها الهائلة على إنتاج المعرفة فالفلسفة إذن شرط ضروري من شروط إنتاج معرفة جديدة ،لأنها تدخل جوهريا في تركيب

العقل النظري في حضارة ما ،إنها ملازمة للفكر أنّى وجد ، ليس لأنها علم أو آلة فكرية لإنتاج المعرفة ،وإنما لأنها تؤسس للفكر ولإعمال العقل وإبداعه حتى يفكر في اللامفكر فيه وحتى يضع الوجود بما وجد فيه موضع تساؤل ونقد.

ويمكن القول أن أخذ المجتمع للفلسفة على محمل الجد هو الذي يخلق المناخ المناسب لازدهار المعارف ،فالفلسفة هي تعبير دقيق عن المكانة المرموقة للمعرفة في المجتمع وعن جدية العناية بها ،فجدية الموقف من الفلسفة تفترض جدّية الموقف من المعرفة والغوص في المعرفة يقود بالضرورة إلى الفلسفة والمجتمع المعني بإنتاج معارف جديدة معني بالضرورة بإنتاج الفلسفة فليس غريبا إذن أن تعمد المجتمعات التابعة التي تقع شروط إعادة إنتاجها خارجها ،إلى إهمال الفلسفة ، إن لم يكن محاربتها ،والذي نعنيه هنا هو أن التفكير بالعقل لا يمكن فصله عن التفكير في العقل خاصة في جانبيه النقدي والإبداعي لذلك ينبع تأكيد نا أن التفكير الجدي بالعقل يقود بالضرورة إلى التفكير الجدي فيه أي ممارسة الفلسفة ،ومن ثم فان أي مجتمع معني بإنشاء صناعة فعلية للمعرفة ينبغي أن يولي الفلسفة وممارستها وإنتاجها اهتماما خاصا.

ولعله من الظاهر للعيان أن قوى اجتماعية تبرز في بعض المجتمعات وتشعر بالحاجة إلى إنتاج المعرفة بوصفها عنصرا أساسيا من عناصر الإنتاج ،الذي تهيمن عليه أو تسعى إلى الهيمنة عليه ،وتدفعها روحها الوثابة إلى خوض كل حقل من حقول المعرفة ،كما أنها تدرك الطبيعة اللانهائية المتشابكة للمعرفة ، الأمر الذي يدفعها إلى صرف المليارات دعما لأكثر البحوث تجريدية ، إن العقل النظري هو تعبير دقيق عن قوى الإنتاج في المجتمع ،فحاجة المجتمع إليه بوصفه قوة رئيسية من قوى الإنتاج هي في حد ذاتها تعبير عن تطور المجتمع ونمائه ،فالمجتمعات الناهضة تنتج العقل النظري بوصفه قوة إنتاج رئيسية ولما كانت الفلسفة جزءا لا يتجزأ من العقل النظري فانه يمكن اعتبارها قوة رئيسية من قوى الإنتاج .

فالتقانة التي تجسد العلم عمليا وإنتاجيا تحمل في باطنها فلسفة ،لا بل فلسفات ،إنها بمعنى من المعاني تجسيد للفلسفة أو الميتافيزيقا كما لاحظ ذلك هيدغر Heidegger Martin(1889-1976).

فهذا البركان العاصف الذي نسميه الفلسفة لا يسع إلى خلقه وحمله سوى قوى تاريخية تملك جرأة التغيير الجذري وتسعى إلى نسف السائد والقائم والكائن من أساسه صوب نمط حضاري ونه ضوي جديد وفـضاء من الممكنات الروحية والثقافية ،فهي تبتكر الفلسفة وتسخرها معول هدم من أجل إقامة صروح جديدة على أنقاض القديم .

ولأن البقاء لم يعد للأقوى بل للأعلم فإننا بحاجة إلى إنسان عربي يتلمس الفلسفة بشغف ويعتمدها كوسيلة تخول له استعمال ملكة الحس النقدي والحكمة المنهجية في التعامل مع مختلف معارف هذا العصر حتى يتمكن من إيجاد السبل الناجعة للاستفادة منها على أرض الواقع، وبناء مجتمع عربي للمعرفة يكون هو السبيل إلى النهضة التي لطالما كان المفكرون والباحثون يعملون بطريقة أو بأخرى ويكدون في سبيل إقامة أسسها ،فأزمات مجتمعنا كثيرة هي في جوهرها أزمة فكرية أدت إلى فشلنا في استيعاب المتغيرات التكنولوجية والاقتصادية التي أثرت بشكل سلبي على التنمية الاجتماعية ومختلف جوانب الحياة.

ولما كان الرأسمال البشري يعتبر مطمح الأمم الحية ،فان رعاية الإبداع وترقيته تعتبر من بين المتطلبات الحالية للمجتمعات المتطورة نظرا لما لهذا الأمر من أثر ايجابي على المستويين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري.

في ظل هذه التحولات المتسارعة والمتطورة في كافة ميادين الفكر أصبحنا اليوم أكثر من أي وقت مضى في حاجة ماسة لفهم واقعنا والاستفادة من الفرص التي أتاحتها لنا الثورة المعلوماتية التي نعيشها لإيجاد إجابات بناءة وحلول عملية منبثقة من بيئتنا وخصوصيتنا الثقافية ،لابد أن نتلمس المعرفة التي ستقودنا إلى الاستفادة بحكمة من الثروة البشرية والمادية التي يزخر بها وطننا العربي لخلق تنمية مستدامة والرقي بمجتمعاتنا وتحديثها ونحن نمر بطور زمني يحوي فرصا كثيرة لا تتكرر يتحتم علينا استغلالها بالشكل الصحيح والعمل بجد للاستفادة من هذا المنعطف التاريخي للحاق بركب الحضارة ومواكبة العصر.

فالعالم لم يشهد منذ بدء الخليقة تطورا في شتى مجالات الحياة يوازي ذلك الذي عاشه في العقود الماضية منتقلا بالبشرية إلى عصر جديد أصبحت فيه المعرفة هي الفيصل في تقدم الأمم ورقيها وباتت تطبيقاتها التقنية والتكنولوجية هي المتصدرة من حيث الأهمية بدلا عن القوى العسكرية والاقتصادية التي كانت حجر الزاوية في عصور الثورة الصناعية،وإذا كان اختراع جوتنبرغ للمطبعة قد شكل نقطة محورية في انطلاق النهضة الأوروبية فان الانفجار المعرفي الاستثنائي الذي نشهده اليوم يعيد تشكيل ملامح العالم والمجتمعات التي نعيش فيها بسرعة مذهلة ،فالتراكم المعرفي يتزايد بمتوالية هندسية ويتضاعف كل 18شهرا،ومن المذهل معرفة أن الإنسانية قد راكمت في العقدين الأخيرين من المعارف مقدار ما راكمته طوال ألاف السنين من تاريخ الحضارة الإنسانية.

إلا أنه إذا كانت هذه المكانة المرموقة طموحا مأمولا فإنها تمثل تحديا كبيرا في الوقت نفسه على كل أمة تأمل في أن تسلك طريق التقدم .وفي ذلك يقول بن نبي :"في بع ض المنعطفات المعينة من التاريخ يتعين على المجتمع أن يعرف بأي تقويم (أو ميزانية) ينخرط في إحدى المراحل الجديدة"[1]

من هنا لابد لنا أن نتساءل : إذا كان مطلبنا وهدفنا الأسمى هو النهوض بمجتمعاتنا والتقدم بمسيرة كفاحنا ونضالنا في الحياة من أجل البقاء ؟وإذا كان الطريق الموصل إلى هذه النهضة هو مجتمع المعرفة ،فما هي الضريبة الواجب دفعها ؟وما تكلفة الجهد المالي والزمني والبشري لإقامة الصرح العظيم لهذه النهضة ؟ ما هو موقعنا كمجتمع بشري ضمن قائمة مجتمعات العالم ؟وفي ظل تطورات باتت معقدة ومربكة للغاية ،فمع كل هذا الهوس

للرقي والتطور وحيازة التكنولوجيا لازالت الإنسانية تشكو من الألم والجوع والحرمان ولازالت بعض البيئات الأخرى تحيا الحياة البدائية لرجال الكهف.

من هنا ربما سيبدأ الشك الديكارتي يفعل فعلته بنا فإننا منذ البداية أصبحنا نشك في

1-بن نبي مالك ،القضايا الكبرى ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،دار الفكر دمشق ،سوريا ،ط2، 2000،ص 31

كون الطريق واضحا أو في أنّ معالمه قد تصعب رؤيتها في ظل ما يشهده العالم العربي خاصة من تحولات تعيق استمرار جهود التنمية الرامية لتحسين الأوضاع الإنسانية ،إلا أننا نجد أنه أصبح لزاما علينا الخوض في هذا الحديث فحلاوة العمل الفلسفي تكمن في تراوحه بين الشك واليقين الجازم.

حقيقة ، أن الأسئلة كثيرة والتي أصبحت تزاحم تفكيرنا في هذا الموضوع خاصة بالنظر إلى الواقع الذي نحياه والى المآل الذي نصبو إليه.فإذا كنّا نولد في بيئة نجد أن المستقبل قد سدّ فيها أمامنا ، فهل سنسمح للتشاؤم أن يملأ أعماقنا وروحنا ؟وهل سنسمح بأن نقوضّ بواعث الوجود التي تتيح لكل إنسان منا أن يكرس نفسه وجهده ووقته للحياة أو الموت من أجل شيء معين ؟هل سنواجه هذا الواقع المأزوم أم أننا سنسلم له زمام الأمور ونكتفي بعيش حياة خاملة نختلق لنا فيها أسبابا واهية وأهدافا عقيمة تساعدنا على أن نقضي يومنا في تتبع زلاّت الأمور وتفاهاتها ؟هل سنبقى ننبهر بالآخر ونشاهد مواكبه المنتصرة على قيمنا تجوب شوارعنا ونحن نهلّل ونصفّق لها ؟هل هكذا سنوقع أوراقا نخوّل للآخر فيها حرية التصرف في صياغة ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا؟أم أننا سنجعل من الذات المفكرة منبعا نسقي منه كل فكر جفّ نبعه أو كل عقل تجمدت فيه الحياة إلا قليلا من لسان يذكر وقلب يرتّل ترانيم صبح جميل قد يطلع ذات يوم. فكل طاقة تستيقظ لتشق طريقها صوب النهوض لا بد لها وأن تجد ضغطا متزايدا يحاول امتصاصها أو إعادة توجيهها ،هذا ما تفعله التقارير الدولية اليوم في محاولة منها لرسم واقع محبط وميؤوس منه عن حال العرب المعرفية .

فإذا كان ما يفهم من لفظ النهضة مرادفا للتقدم والرقي فان اقتران هذا المصطلح بآخر هو مجتمع المعرفة يغدو أوسع بكثير في النطاق الذي سنحاول التركيز عليه والاهتمام به،وذلك بالنظر إلى المنطقة التي تسقط عليها هذه الدراسة والتي هي منطقة منهمكة في النضال ضد مصاعب النمو والتنمية بكافة أوجهها وفي جميع مجالاتها.لذلك كان **عنوان هذه الرسالة :** الفلسفة وإقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة ، في حين تتلخص الإشكالية في التالي : ما الفلسفة؟ ما النهضة ؟ وما مجتمع المعرفة ؟وكيف يمكن النهوض بالأداء المعرفي

العربي لبلوغ النهضة؟ وكيف يمكن استثمار منظومة مجتمع المعرفة لبلوغ الهدف المنشود ؟وكيف يمكن للفلسفة أن تساهم في تنوير الطريق إليه ؟

إن هذا السؤال سيظلّ مشروعا وقائما بالنظر إلى جملة المشاكل التي تواجه كل مجتمع في مرحلة من مراحل نموه وتقدمه كما ستبقى على الأقل دعوة تستحثنا لطلب المزيد من البحث والاستفهام حول الموضوع.لذلك يتعين علينا المزيد من تضييق حيّز **الإشكال** علنا نتمكن من امتلاك أداة العمل الفعّال وطريقة تمكّننا من الهدف الذي نرمي إليه بحيث تضعه في متناول الوسائل الحقيقية لكل بناء وكل تشييد ،ولعل العامل الفاعل والفعّال في كل عملية نهوض هو الإنسان بكل ما يحمله من نوايا وطباع ،وأفكار وأحلام وآمال، ولكي نزيد في توضيح الموضوع نقول أن المسالة تنحصر في طموح مجتمع يسعى لإفراغ المكان من مخلّفات تنمية واهية ،ليقذف بآمال المحتل خارج حدوده ،ليعيد البناء داخل هذه الحدود ،ويقيم فيها شكلا من الحياة يمكن فيها لكل فرد أن يجد كل الدوافع وكل الضمانات الضرورية لوجوده.

فهل ستمدنا الفلسفة بالوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية (النهضة)؟ وكيف اهتمت بالعنصر البشري باعتباره صانعا للمعرفة ،وصنيعة لها ، باعتباره منتجا للمعرفة وناشرا لها ؟

إن المجهود المتواضع المبذول في هذا العمل لا يحاول الكشف عن حقائق جديدة متعلقة بواقع المجتمع العربي أكثر ما يهتم بتسليط الضوء قدر الإمكان على الطريق المؤدية إلى الهدف المقصود ،وذلك سعيا للتخلص من المصاعب التي قد تعترض مسيرة النهوض وذلك بالاستفادة مما يقدمه الواقع الراهن .وقد احتوى هذا العمل على **ثلاثة فصول** وزّعت كالتالي :

الفصل الأول : المدخل المفاهيمي

يثير إشكالية ضبط تصور الفلسفة ،النهضة ،مجتمع المعرفة ،مع إدراج بعض المصطلحات المتضايفة مع هذه المفاهيم كالتقدم والتنمية والتغيير ذلك أن :النهضة عملية تغيير هادفة تعمل على تنمية القدرات الإبداعية لجميع فئات المجتمع ولو كانت مسيرة يكتنفها الكثير من التجدد

والتغير إلا أن جوهرها الثابت والقائم هو الإنسان فالنهضة تبدأ من الإنسان فتتغير قيمه وتصوراته وآماله وانجازاته وحتى الطريقة التي ينجز بها الأمور وكيف يراها لا بد أن يمسّها عامل التجدد والإبداع.

ولما كانت الفلسفة تقوم على إعمال العقل ،وجب التفكير في عملية التفكير في حد ذاتها من جهة ،ولأن مجتمع المعرفة أصبح يتطلب مهارات فكرية ذات ميزة إبداعية تجدديه فإننا نجد في ضرورة تعلم التعلم وكذا تعلم التفكير بأنواعه التقويمي و النقدي والإبداعي الضالة المنشودة والنقطة الجوهر التي نجد فيها أن الفلسفة تهتم من خلالها بالإنسان فتساهم في تحضيره للولوج إلى مجتمع المعرفة. وبناء على ذلك كان **الفصل الثاني** حول الفلسفة ودورها في بناء مجتمع المعرفة.

أما **الفصل الثالث** فيحاول النظر في مشكلة الإنسان العربي في مجتمع المعرفة وما هي جملة العوامل التي تعيقه لولوج هذا المجتمع ؟بناء على الأفكار التي عالجها المفكر مالك بن نبي وتعرض لها في مشكلة الإنسان حاولنا من خلاله التوسع في موضوع الإنسان العربي وما العوامل المضافة التي تساعده في النهوض بمجتمعه .

أما عن **المنهج** المتبع والذي أصبحت إشكالية العمل تفرضه فالأول كان ضبط التصور والذي ساعدنا على توضيح تجلّيات ومعاني المصطلحات الرئيسة في هذا العمل .أما الثاني فلنه التحليلي الذي رافقنا طيلة هذا العمل لجدواه في متابعة وفرز أحوال الواقع المعاش والآخر المأمول كما يتمثله الفكر وكما يعيشه الفرد.

أما عن **الدراسات السابقة** والتي اختصت بمعالجة مواضيع قريبة من هذا الموضوع المعالج فمنها :

1-دراسة الدكتور بوزيد بومدين في كتابه التراث ومجتمعات المعرفة (الجزائر).

2-دراسة الدكتور نبيل علي :العقل العربي ومجتمع المعرفة (الكويت)

3-رسالة ماجستير للطالبة :مها سامي فؤاد المصري :دور النظام السياسي العربي في إعاقة بناء مجتمع معرفة عربي(فلسطين)(رسالة غير منشورة)

وأما عن **صعوبات البحث** فتكمن غالبيتها في صعوبة الوفاء لمضمون الموضوع المختار وندرة الدراسات التي تربط الفلسفة بمجتمع المعرفة.

فكانت جلها صعوبات منهجية تتعلق بالموضوع وبالمفاهيم العميقة التي يقوم عليها ، فجل الدراسات التي تعرضت لمجتمع المعرفة ربطته بالطابع التكنولوجي والمادي في حين أن الجانب الفكري لم يلق نفس الاهتمام والعناية ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كانت المرحلة الأولى من البحث مرحلة أنس تام قد يمر بها كل باحث وهو يجمع كل مادة قد تتعلق بالموضوع فينسخ مرة ويدون ملاحظات هامشية ...في حين أن المرحلة الثانية بحق هي أصعب مراحل البحث على الإطلاق وهي مرحلة تحليل المعلومات المتوصل إليها وتركيبها في ايطار تكمل فيه بعضها البعض وتخدم خطة البحث المتبعة ،فليس من السهل أبدا أن تتملص من أسلوب الكاتب آو صاحب النص لتأخذ نفس المعنى أو الدلالة وتحاول إيصال فكرته والتعليق عليها ولكن بأسلوبك الخاص فان تقرا شيء وأن تحاول أن تكتب لشيء آخر مغاير تماما إلا أنه يستحق عناء المحاولة.

و أما عن **آفاق البحث** فإنها تكمن أساسا في القيمة العلمية للموضوع وكيف أنه يمثل مدخلا هاما لمعالجة أوضاع العالم العربي خاصة منها التي تمس الجانب الفكري والمعرفي من جهة ومن جهة أخرى أن هذا الموضوع يستند في مجمله على أهمية الفلسفة كعامل محفز كلبنة أساسية في البناء النهضوي و حركيته.

الفصل الأول

المدخل المفاهيمي

المبحث الأول : الفلسفة وعلاقتها بالمعرفة

المبحث الثاني : النهضة ومتطلباتها الفلسفية

المبحث الأول :

الفلسفة وعلاقتها بالمعرفة

المبحث الأول :الفلسفة وعلاقتها بالمعرفة

يشهد العالم اليوم تقدما هائلا في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وحدوث تغييرات جذرية واسعة في أساليب الحياة المعاصرة وبخاصة في طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والنظم والمؤسسات الكبرى في المجتمعات المتقدمة، فقد أصبح المجتمع المعاصر يوصف بأنه مجتمع المعلومات الذي تتدفق فيه المعلومات بسهولة ويسر ،بحيث يمكن الحصول عليها من مصادر كثيرة متنوعة دون عناء أو تكاليف باهظة، كما أصبحت المعرفة والإبداع من أهم العوامل المؤثرة والمحددة لقيام ما يطلق عليه اسم مجتمع المعرفة الذي لا يكتفي باستخدام المعلومات لفهم واقع الحياة وأحداثها وتفاعلاتها والاستفادة منها في توجيه مختلف أنماط الأنشطة وخاصة في المجال الاقتصادي ،وإنما يعمل بالإضافة إلى ذلك على إنتاج المعرفة وتسويقها بحيث تصبح مصدرا اقتصاديا رئيسيا يحمل في ثناياه بذور الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها في تحديد ووصف مجتمع المعرفة هو تزايد الاهتمام بالبحث والتنمية والاعتماد على الكمبيوتر والانترنت والقدرة التنافسية في مجال إنتاج ونشر المعرفة على مستوى العالم ،ومع أهمية هذه العناصر فان إنتاج المعرفة يبقى العنصر الأساسي والركيزة القوية التي يقوم عليها الاقتصاد الجديد ،الذي تحل فيه المعرفة محل العمل ورأس المال بحيث يمكن تقويم السلعة ليس فقط حسب ما يدخل في تكوينها من مواد خام أو ما بذل في إنتاجها من مجهود أو ما انفق عليها من رأس المال وإنما حسب المعرفة التي أدت إلى ابتكار تلك السلعة وإنتاجها.

فالمعرفة تعتبر هنا أهم عامل في الإنتاج ،ومن هذه الناحية وبالنظر إلى الرصيد الفكري للعالم نجد أن القدرة على الابتكار والإبداع من جهة وحيازة التقنية من جهة أخرى ليست موزعة بالتساوي على الشعوب فهناك من الدول من تملك القدرة على ابتكار التقنية وإنتاجها ، كما تملك مرونة وليونة تمكنها من استعمالها في تسيير مختلف النشاطات في حين نجد الدول النامية أو السائرة في طريق النمو حيازتها لهذه التقنية تكلفها ثمنا باهظا ،كما أن استعمالها يبقى محصورا على فئة قليلة من أفرادها وهذا الخلل في حيازة التكنولوجيا

واستعمالها بالرغم من التدفق الهائل للمعلومات أصبح يتعاظم حجمه يوما بعد يوم بين الدول المتقدمة والأخرى السائرة في طريق النمو وهو ما اصطلح عليه بالفجوة المعرفية.ولكن أمام هذا المشهد العالمي المتميز بالتقدم التكنولوجي والتقني ،والسعي المترامي لاكتساب المعرفة تبرز الفلسفة من جديد لتطرح أسئلتها منورة بذلك درب البحث الدؤوب عن المعرفة وتوطينها. إذ تتحدد كمفهوم من خلال كونها " آلة الفكر " التي تواصل حضورها مع العالم والوجود البشري وما يحيطه من أسرار ومجاهيل وعوالم مكتشفة وأخرى بحاجة إلى المعرفة والاكتشاف ، وكذلك ارتباطها بالعلوم وتمسكها الواضح بفكرة التطور ، تلك التي انبثقت من خلال الأزمنة الحديثة التي حددت مسارات الفلسفة بكونها تهتم بذات الإنسان وتسعى إلى تعزيز مكانته الوجودية بشكلها المادي والمعنوي.

فإذا كان هاجس الشعوب اليوم هو تطوير التكنولوجيا وامتلاكها واكتساب المعارف المختلفة وتوليد معارف أخرى جديدة فهذا لا يتم دون الاهتمام بالعنصر البشري وإعادة النظر في الطرق المتبعة لتكوين أفراد قادرين على مجابهة تحديات العصر ، أفراد يتميزون بالمرونة الفكرية ويستطيعون التجاوب مع مختلف إيقاعات عصر المعلومات والمعرفة بحكم أنه عصر يتجدد باستمرار ،وهذا التجدد أصبح يتطلب مهارات ومعارف متجددة أيضا ،فكل معرفة إما تنفي أوتثبت معرفة أخرى ،وتولّد هي بدورها معارف جديدة من هنا كان لزاما الرجوع إلى الفلسفة لأنها اهتمت منذ العصور الغابرة بالإنسان ،فوجودها أصبح ضرورة ملحّة في الوقت الراهن ،ذلك أننا في عصر يتطلب صناعة المعرفة كما يتطلب إعداد وتنشئة الأفراد باعتبارهم الحاملين لهذه المعرفة والقائمين على نشرها وتوليد معارف أخرى جديدة وقد صدق مالك بن نبي في ذلك حين قال : "يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"[(1)] .

فما الفلسفة ؟وما علاقتها بالمعرفة ؟ وما مجتمع المعرفة ؟ وما ميزاته وخصائصه ؟

1-بن نبي مالك ،شروط النهضة ترجمة عبد الصبور شاهين ،عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر ،دمشق ، 1986،دون طبعة ص75

أ-الفلسفة :

وبالرجوع إلى أول واضع للفلسفة نجد أن فيثاغوراس كان السبّاق لذلك إذ قال :"لست حكيما فان الحكمة لا تضاف لغير الآلهة ،وما أنا إلا فيلسوف أي محب للحكمة " [1] فإذا كانت الفلسفة تخلق في نفوسنا هذا الميل وهذا النوع من الشعو ر النبيل إلى الحكمة التي يعرفها الجابري بأنها تعني :"معرفة ماهو موجود ،وما يجب " [2]،وإذ ذاك فان هاته الصلة العميقة التي أصبحت تتبدى لنا بين الفلسفة والمعرفة لطالما كشفت عنها الأقوال الخالدة للعظماء كالعبارة السقراطية Socrate (470ق .م-399ق.م) المشهورة "اعرف نفسك" والتي تمثل في حد ذاتها دعوة صريحة وجدية من فيلسوف اعتنق الفلسفة حتى النخاع إلى إعمال التفكير في الذات والتدبر في حالها إذ يقول في ذلك الكندي [3]:"الفلسفة معرفة الإنسان نفسه " [4]في حين يأتينا نيتشه Friedrich Nietzche (1844-1900)صاحب الإنسان المتعالي برؤيا فصيحة للحكمة ويدعونا من خلالها قائلا :"لنسر إذن إلى الأمام في طريق الحكمة بخطوة حازمة وبكامل الثقة في النفس أيا نكن ،استغل منبع التجربة الذي تشكله أنت ذاتك ، ألق عنك عدم الرضى الذي يأتيك من كينونتك ،اغفر لنفسك أناك ،لأن فيك في كل الحالات سلما من مائة درجة يمكنك أن ترتقيه إلى المعرفة " [5] ،وإذا كانت الفلسفة سبيل لمعرفة الذات فإنها أيضا طريق لمحبة خالق هذه النفس ومعرفته ،وفي هذا الصدد يقول سبينوزا Spinoza Baruch(1632-1677) :"من كان يعرف ذاته وانفعالاته بوضوح وتميز ،إنما هو يحب الله ،ويزداد حبه هذا بقدر ما تزداد معرفته لذاته وانفعالاته"[6] .

1-مراد وهبة المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر ،القاهرة،مصر ،دون طبعة 2007،ص.468

2-الجابري محمد عابد ،قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،1997 ،ص16.

3-أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (873م أو 860م-987م)

4-نقلا عن الكندي، مراد وهبة ،المرجع السابق ص ص/468-469

5-نيتشه فريدريك ،إنسان مفرط في إنسانيته ،ترجمة محمد الناجي ،إفريقيا الشرق 1998 دون طبعة ،ص159

6-سبينوزا باروخ،علم الأخلاق ،تعر جلال الدين سعيد ،دار الجنوب للنشر ،تونس ،ص 279(دون طبعة ودون سنة الطبع)

كما أن الفلسفة أيضا تعتبر الوميض الذي يقود إلى السعادة إذ تكمن ماهيتها في كونها :"البحث عن الصفاء والاعتدال في السعادة " [1] و بمعنى مدقق أكثر فإنها "خطاب مشكل خطاب مطابق للعقل (اللوغس)يبحث بواسطة البرهان عن إجابات للإشكال المطروح "[2]

في حين يربط بترندراسل هذه الأخيرة بالمعرفة حيث يقول :"الفلسفة هي المضاربة حول مواضيع أو معرفة مضبوطة ليست بعد ممكنة "[3]

على هذا الأساس أصبحت علاقة الفلسفة بالمعرفة ضرورية في وقتنا هذا ، ولو كان ما عرف عن الفلسفة وما تميزت به منذ الأزل هو بحثها الدائم والدؤوب عن المعرفة الشاملة ومع ما تشهده مجريات الواقع من تأزم وتعقد فان الوضع أصبح يستدعي ضرورة الاستنجاد بحبل نجاة يكفل للإنسان التشبث بالأمل من أجل أن يحيا حياة كريمة يكتسب فيها الكرامة من معرفة ذاته ومعرفة ما يحيط بها ، بمعنى أن يمعن التفكير في واقعه فأينما وجد واقع يستفز العقل وجد فكر مستنير يبحث ويفتش بين ثنايا اللامعقول والمعقول عن إمكانية تحقيق الممكن والمرغوب ،وفي هذا الصدد يقول الدكتور عمر مهيبل :"...لأن المهم ليس أن نحب الحكمة فحسب وإنما أن نمارسها...الفلسفة ليست أداة للرّفاه ،كما أنها ليست مادة أولية لخبز الإنسانية ،إنها تأمل مستمر في وضع الإنسانية وتفجير لبداهته من الداخل ،فهي لا تثبت ولا تقنّن ولا تأمر وإنما تحلل ،تستفهم تتساءل تثور وتشك ،إنها تجعل الإنسان في حالة تأهب مستمر ،إنها حامل المعرفة ،والمعرفة أساسها العقل ،والعقل أساس التمييز بين الإنسان وبين الكائنات الحية الأخرى ،إذن فالفلسفة حامل لماهية الإنسان ،ومعنى أساسي من معاني وجوده وحقيقة هامة من حقائق هذا الكون الأبدية".[4]

1-Elisabeth Clément-Chantal Demonque et autres.La philosophie de AaZ .édition Hatier. Paris.1994.p273(ترجمة شخصية)

2-المصدر والمكان نفسه

3-Bertrand Russel. Ma conception du monde. traduite de l`anglais par Louis Evrard .édition Gallimar.1962.p7(ترجمة شخصية)

4-مهيبل عمر ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،ط2، 1993 ،ص6

حقيقة لا غبار عليها أن العقل هبة ربانية لا يعرف قيمتها إلا من أمعن النظر وفكر ولعل الفلسفة هي أكبر دليل على نشاط هذا العقل وحيويته "فالفلسفة هي دراسة العقل البشري " [1] ضف إلى ذلك حاجتنا الماسة لإيقاظ السوفسطائي الذي بداخلنا بين الفينة والأخرى علّه يعكر علينا صفاء الجو الرتيب والبالي والخالي من كل إبداع "فالسؤال الفلسفي مقلق بطبيعته ،بيد أنه يشكل أول خطوة تسكعية يقوم بها العقل في نزهته نحو آفاق جديدة "[2]

وما أعظمها من قفزات ونزهات قام بها العقل البشري فاكتشف بها جملة من المعارف ساهمت في تكوين وتطوير وتنمية واقع البشرية ،وقد تحولت المعرفة خاصة في الآونة

الأخيرة إلى مصدر قوة تتقدم وتتفوق على مصادر القوة الأخرى القديمة والتقليدية ،حيث باتت تتفوق على قوة الأرض التي هي من مصادر القوة القديمة ،وتتفوق أيضا على قوة المال وهي من مصادر القوة التقليدية ،وأصبح الحديث عن المعرفة يقترن بالقوة.

ومن الخصائص الجوهرية للمعرفة والمتناقضة أيضا أنها تزداد بالنمو كلما استعملناها وفي هذا الصدد يقول نيتشه :" صارت المعرفة إذا جزءا مكملا للحياة وغدت باعتبارها حياة قوة متنامية باستمرار "[3]

ب-المعرفة: بالنسبة ل لمعنى الاصطلاحي لمفردة المعرفة فانه يقابلها بالفرنسية اللفظ connaissance "وهو لفظ له مدلول عام ويتناول أمورا كثيرة أخصها فعل المعرفة الذهني الشيء المعروف مضمون المعرفة ،وموضوع المعرفة ،أما عن الفعل عرف أي علم فيقابله

1-الدكتور مصطفى حسيبة ،المعجم الفلسفي ،دار اسامة للنشر والتوزيع ،عمان الاردن ط1، 2009،ص470

2-نجيب الحصادي ،[ماهية الفلسفة] ،مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ،العدد9سنة2000 ،ص206

3- نيتشه فريدريك ،العلم المرح،ترجمة وتقديم حسان بورقية ،إفريقيا الشرق ،ط1 ،1993الدار البيضاء ص12

لفظ connaître حيث يرتبط فعل المعرفة بفكرة الشيء المعروف، كما يرتبط بفكرة الحقيقة ولذلك يتميز مدلوله من معاني الملاحظة والفهم والتصور كما يتعرض إلى معنى الظن والتخمين والتقدير "[1]

أما عن المعنى الفلسفي لمفردة المعرفة فإنها تمثل :"النشاط الذي يتوجب على المرء بواسطته أن يأخذ موقفا من الخبرة ،وأن يبحث عن فهمها أو شرحها "[2]

أما في الموروث اللغوي والثقافي العربيين فان مفردة معرفة تحمل عدة أوجه وتحيل إلى أكثر من دلالة "فالمعرفة هي نقيض الجهل حيث يطلق اسم العارف على من يتقن عملا يقوم به ،وعندما تبلورت اختصاصات معرفية عديدة في الفكر العربي الإسلامي في العصور الوسطى أصبح العارف محصل المعرفة وحاملها يشير إلى المختص في دقائق المعلومات في مجال معرفي بعينه "[3]

كما يحمل الاستعمال العربي لمفردة معرفة بعدا قيميا ايجابيا بحكم أن نقيضها وهو الجهل حامل لقيمة سلبية.

والمعرفة لغة مصدر للفعل عرف ،ولكن مع التحولات الصرفية والنحوية التي تطرأ على هذه الكلمة ،فإنها تحيل إلى عدة دلالات منها :

1-الظهور والكشف عن المخبوء :"ففي المعرف والمعرف تدل على وجه الإنسان أي ما يظهر به، والعرف ما ارتفع من مكان أو رمل كعرفة وهو جبل بمكة ،يقال عرف البحر:

1-الحلو عبده ،معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي ،المركز التربوي للبحوث والإنماء ،مكتبة لبنان دون طبعة ودون سنة الطبع ،ص155.

2-Elisabeth Clément . La philosophie de AaZ .p63

3- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، تقرير المعرفة العربي 2009 (نحو تواصل معرفي منتج) ، شركة دار الغرير للطباعة والنشر ،الإمارات العربية المتحدة دبي ،ص26

ارتفعت أمواجه وصارت له كالعرف أي ظهرت ،وعريف القوم سيدهم ،والقائم بأمرهم أي الأبرز بينهم"[1]

2-الانتقال من وضع إلى آخر : فالمعنى الدال على الظهور يأخذ دلالة أخرى هي الانتقال من حالة الجهل إلى حالة العلم "فالمعرفة تطلق على معان منها العلم بمعنى الإدراك مطلقا تصورا كان أم تصديقا ولهذا قيل كل معرفة علم " [2] أو الانتقال من النكر والنكران إلى حالة المعرفة والعرفان فالذي يعترف بالشيء ينتقل من حالة كتمان السر إلى الإعلان عنه وإذا عرّف نفسه للآخر جعل الآخر متعرفا عليه عالما به.

ومع تفاعل اللغة العربية مع منتوج الفكر العربي الإسلامي الذي يعكس جوا ثقافيا بعينه عاشه العالم الإسلامي في تنوع وازدهار ،فقد لحق التغيير مفردة المعرفة حيث أصبحت تعني "ما وضع ليدل على شيء بعينه أي أنها إدراك الشيء على ما هو عليه ،والتحول في المعنى يتمثل في النزوع نحو دلالة الكلمة في مجال معرفي محدد مثل النحو والفقه والمنطق التصوف ،حيث بدأت تتم عمليات التمييز بين المعرفة و العلم وبين العارف والعالم"[3]

وبعد دخول القرن العشرين وعلى ضوء عمليات المثاقفة الثانية التي عرفها الفكر العربي مع تيارات الفكر الأوروبي الحديث في عصر النهضة العربية فقد أصبحت الكلمة تحيل إلى "الإنتاج العقلي والفلسفي والبحث في مختلف العلوم والنظريات "[4]

إلا أن هذه المفاهيم وفي العقدين الأخيرين اعتراها التغيير نتيجة للتطورات والمستجدات الحاصلة في أسس المعرفة وقواعدها بما في ذلك الأسس الفلسفية والعلمية والثقافية ،فبعد أن كانت منذ الأزل مقتصرة على فئة من الناس كالحكماء والفلاسفة والعلماء

1-المنجد في اللغة العربية والأعلام ،دار المشرق بيروت ،الطبعة 26سنة 1983(دون ذكر اسم المؤلف)

2-الشيخ العلامة التهانوي الحنفي محمد علي بن علي ، كشّاف اصطلاحات الفنون ،المجلد الثالث ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،1998، ص262 .

3-تقرير المعرفة العربي 2009 ،ص26

4- المرجع نفسه،ص27

أي النخب ،أصبحت اليوم حقا لجميع أفراد المجتمع ومطلبا للتنمية الإنسانية ، حيث أصبحت تضم على سبيل المثال البنى الرمزية التي تمتلك عبر التعليم الرسمي والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة، وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري موثقة أو شفاهة أو ضمنية، وتحتوي المعرفة المؤسسية لمجتمع ما على التاريخ والثقافة والتوجهات الإستراتيجية والأشكال التنظيمية ،وإنتاج المعرفة لا يقتصر على الأشكال التقليدية للعلم والبحث العلمي بل تنتج المعرفة كذلك عن صنوف التعبير الأدبي والفني في الثقافتين العالمة والشعبية.

وفي حديث عن المراحل التي مرت بها المعرفة البشرية فان الدكتور محمد عابد الجابري يوجزها في ثلاث مراحل :"فبعد أن كانت من المعطيات المسلم بها والتي وصفت ما أنجزه الجنس البشري من تراكم معرفي عبر العصور والأجيال المتعاقبة ،أصبحت تعيش مرحلة النقل المنظم للتراكم المعرفي للأجيال المعاصرة ،مع رفع المهارات وإمكانية التعامل معها حيث اعتمدت في هذه الفترة على تكوين الرأسمال البشري لتعقب هذه المرحلة مرحلة الاهتمام بتنمية الموار د البشرية والتأكيد على أهمية التعليم والتأهيل المهني لإكساب البشر قدرات تمكنهم من التعامل بكفاءة مع ما يكسبونه من علم "[1].

فالمعرفة إذا لا تنحصر في معنى ضيق من التراكم التاريخي للمعلومات بل إنها أصبحت تتطور باستمرار مطورة معها الفكر الإنساني بسرعة قياسية ،ومن هنا أصبح من الواجب مسايرة هذا التطور وبهذه السرعة وذلك بالتعلم المستمر قصد تجديد الخبرات واستثمارها وإتاحة فرص عمل جديدة يتوجها العيش برفاهية.

وإذا كانت المعرفة حقا أصيلا للبشرية فهي أيضا سبيل للتنمية الإنسانية في جميع مجالاتها ذلك أن "التنمية الإنسانية في الجوهر هي نزوع دائم لترقية الحالة الإنسانية للبشر جماعات وأفراد من أوضاع تعد غير مقبولة في سياق حضاري معين إلى حالات أرقى من الوجود

1-محمد عابد الجابري ،التنمية البشرية في الوطن العربي ،الأبعاد الثقافية والمجتمعية ،سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2،صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا ،وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي 1995،ص18

البشري تؤدي إلى ارتقاء منظومة اكتساب المعرفة " [1]. فالمعرفة هنا عامل تغيير ايجابي ينزع نحو الأفضل والأحسن دائما وهي السبيل للارتقاء بالحالة الإنسانية في الطور الحالي من تقدم البشرية ،وذلك بإقامة مجتمعات المعرفة القائمة أساسا على اكتساب المعرفة وتوظيفها بفعالية ،إلا أن "التنمية القائمة على المعرفة في ايطار مجتمع المعرفة لا تتحقق إلا إذا اكتملت دورة اكتساب المعرفة والتي تتمثل في "استيعاب المعرفة ،توظيف المعرفة ،وتوليد المعرفة الجديدة"[2]

وأفضل فكرة عن المعرفة أنها موجودة في المجتمع وهي في الشخص في حد ذاته أي في العقل النظري للشخص إذ يقول كيث ديقلين نقلا عن دافنبورت وبروساك :"توجد المعرفة في الناس جزءا لا يتجزأ من تعقيدهم وغرابة أطوارهم وعدم توقع ردود أفعالهم "[3] وهذا إن دل على شيء فإنما على إلزامية ووجوب الاهتمام بالأفراد و إعدادهم إعدادا يليق بالمعرفة التي سيحملونها. في حين نجد أن أفلاطون Platon Aristocles(348ق.م-427ق.م)في جمهوريته يحدها بكونها "ملكة ،بل أنها لأقوى الملكات "[4]

أي باعتبارها هبة ربانية ، في حين أن موضوعها هو "الموجود وقدرتها في أن تعرفه على ما هو عليه" [5] .أما ميشال فوكو Foucault Micheel(1926-1984) في كتابه حفريات المعرفة فيحددها بأنها :"ما بإمكاننا أن نتحدث عنه داخل ممارسة خطابية ،تكون من ثمة متميزة هي الميدان المكون من مختلف الموضوعات التي قد تحصل أو لا تحصل في المستقبل على صفة العلمية...والمعرفة هي كذلك حقل تناسق العبارات وتضايفها فيه تظهر

1-تقرير الأمم المتحدة الإنمائي من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة ،مطبوعات اليونسكو 2005 ،ص37(دون طبعة)

2-نبيل علي ،[إقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهصة]مجلة المستقبل العربي عدد أغسطس 2007،ص ص/83-84

3-كيث دقلين، الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات ،تعر شاذن الياني ،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية،ط 1،2001 ص36

4-أفلاطون،الجمهورية ،ترجمة د فؤاد زكريا ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،2004 ،ص361(دون طبعة)

5 –المصدر نفسه،ص 362

المفاهيم ويتم تعريفها تطبق وتحول "[1] .

ومن هذه التعريفات نجد أن ميشال فوكو يربط بين المعرفة باعتبارها تساؤلا ونظرا بالخطاب الذي هو عبارة عن رموز أو علامات .فالمعرفة أساسا في رأيه كل تساؤل يطرح حول معنى أو دلالة رمز من رموز الخطاب ،كما أنه كل نظر وتأمل في علامة من نفس الخطاب ،ولكأن المعرفة هي بحث وتحليل ميدانه الذي يشتغل فيه هو الخطاب.

ج-مجتمع المعرفة :

إن المعرفة لا تنشأ من فراغ؛ بل هي وليدة عوامل اجتماعية ثقافية تاريخية تؤثر في بناء المجتمع معرفياً، وقدرته على إنتاج المعرفة وتوظيفها بكفاءة في جميع نشاطاته للارتقاء بمستوى الإنسان وإيصاله إلى مرحلة العطاء الكفء، وفهم معادلات الحياة واستعمالها لبناء مجتمع أفضل؛ فإن المعرفة هي السبيل الوحيد لبلوغ هذه الغاية، وهي في حد ذاتها الأداة المحركة للعنصر البشري لتحقيق حريته ورفع قيمته، وتحوله من التخلف إلى التقدم. يتضح من عدة دراسات أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مستوى المعرفة والقدرة الإنتاجية في المجتمع، وقد يكون هذا جلياً بمقارنة المجتمعات التي اكتسبت فيضاً من المعرفة في مجالات عدة، ونمو هذه المجتمعات وازدهارها؛ فكلما زادت المعرفة بالثقافة وإنتاجها، زاد الإنتاج

الاقتصادي وازدهر وارتفعت معدلاته التنموية.إن عوامل مهمة مثل الثقافة والبني الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحلية والعالمية تؤثر تأثيراً بالغاً في اكتساب المعرفة.

وهناك خلطٌ عند بعض الناس، بين مصطلحين حديثين هما مجتمع المعلومات Information Society، ومجتمع المعرفة Knowledge Society، وفي بعض الأحيان

يعتبرونهما وجهين لعملة واحدة، ولكن الواقع خلاف ذلك، بل إن هنالك بوناً شاسعاً بينهما فمن أجل أن يتحرر مفهوم مجتمع المعرفة دعونا نلقي نظرة سريعة على مصطلح مجتمع

1-فوكو ميشال ،حفريات المعرفة ،ترجمة سالم يافوت ،المركز الثقافي العربي الكويت،الدار البيضاء المغرب ،ط 1 ،1986 ،ص175

المعلومات، فمجتمع المعلومات مبني على التعاملات الإلكترونية، وأن هذه التعاملات تعد من أحد أهم الأدوات التي تشارك في بناء مجتمع المعلومات، فيمكن وصفها بأنها استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دعم كافة أنشطة الأعمال، التي تمس جميع شرائح المجتمع ، إذن يركز هذا المجتمع أكثر على ترابط شبكات الاتصالات، والوصول بينها يتيح للمعلومات سرعة التداول بسهولة تامة.

بعبارة أخرى، فإن المعلومات تشبه سلعة أو بضاعة، أي مقتنيات، وأن التعاملات الإلكترونية تقنيات تقوم على إدارة هذه المقتنيات، بذلك يتكون لدينا المجتمع التقني " مجتمع المعلومات " ولا يتجاوز ذلك الترابط والاتصال إلى التركيز على محتوى شبكات الاتصال، لأن المحتوى هو ما يقوم عليه مجتمع المعرفة.

هذا هو ما طوّره اليونسكو مع استقبال قرن جديد وألفية جديدة، مفهوم مجتمع المعرفة مقابل مفهوم مجتمع المعلومات. ومن حيث التاريخ فقد ظهر مجتمع المعرفة خلال الثمانينيات في القرن الماضي، ويوسم بأنه منظومة وحركة ديناميكية في الفكر والإبداع والعمل، من أجل تحقيق التنمية، يتفق ذلك مع توجيهات البنك الدولي في تقريره عن التنمية الدولية عام 1998، والذي كان عنوانه "المعرفة من أجل التنمية "،ومجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يحسن استعمال المعرفة في تسيير أموره وفي اتخاذ القرارات السليمة والرشيدة ،وكذلك هو ذلك المجتمع الذي ينتج المعلومة لمعرفة خلفيات وأبعاد الأمور بمختلف أنواعها ،وليس في بلده فقط بل في أنحاء العالم كله .

لقد أفضت الثورة المعرفية إلى مجتمع المعرفة الذي أصبح يعتمد أساسا على المعارف كثروة أساسية أي على خبرة الموارد البشرية الشاملة ،أي أنه من هذه الموارد المعرفية يمكن إنتاج الكسب واستغلال الطاقات الإنتاجية بصفة أفضل من ذي قبل.وقد استعمل مفهوم مجتمع المعرفة لأول مرة "سنة1969 من قبل الأستاذ الجامعي بيتر دروكر وقد تعمق في التسعينات وبخاصة عبر الدراسات المفصلة حول الموضوع التي نشرت من قبل باحثين مثل روبن مانسيل او نيكوستهير،وقد ولد بين سنوات1960-1970 من القرن

العشرين في الوقت نفسه لولادة مفهوم المجتمعات المتعلمة أو التعليم للجميع مدى الحياة"[1].

في حين عرفه عالم الرياضيات الهندسية كيث دقلين :"بأنه عالم وقوده الأساسي ورواجه الحقيقي اللذان يقودان الاقتصاد هما المعرفة ،وتتطلب الحياة في ذلك المجتمع فهما أساسيا لماهية المعرفة ،كيف تنشأ ،كيف تنتقل من فرد إلى آخر ،كما يجب أن يبنى الفهم الصحيح للمعرفة على أساس علمي متين "[2]

وقد جاء في تقرير اليونسكو للعام 2003نحو إقامة مجتمع المعرفة أن الغاية التي أسس من أجلها مجتمع المعرفة هي التنمية الإنسانية "المقصود بمجتمع المعرفة على وجه التحديد أنه ذلك المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي ،الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة ،وصولا إلى ترقية الحالة الإنسانية باطراد أي إقامة التنمية الإنسانية"[3]

أما التقرير الصادر سنة 2005فقد تبنى مفهوم مجتمع المعرفة واستخدمه بصيغة الجمع "مجتمعات المعرفة "وذلك قصد توسيع دلالات مفردة المعرفة حتى لا يظل المفهوم مقتصرا على البعدين العلمي والتقاني ف "العلم لا يساوي مفهوم المعرفة ،وإذا كان الإنسان الأوروبي الحديث قد اختص بالعلم وانه فرض وجوده على العالم باعتباره إنسانا تقنيا أولا ،

فهذا لا يعني أن مقومات المعرفة احتكرها العلم فحسب ،وقد لخص الفكر الغربي نفسه المآل الأخير لازمة العلاقة مع التقنية ،صحيح أنه استطاع أن يرضي النزعة الموضوعية عنده أن يفوز بالعلم ،لكنه أضاع الإنسان نفسه"[4] .

1-برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ،2005 ،مصدر سابق ص22

2-دقلين كيث ،الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات ،ص37

3--برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2003 ،ص ص/39-40

4-صفدي مطاع ،استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية ،منشورات مركز الإنماء القومي،لبنان ط 1، 1986 ،ص35

فمهما كانت المعرفة العلمية مهمة فان ذلك لا يعني بالضرورة الاستغناء عن المعارف الأخرى ،من هنا كان توسيع دلالة المعرفة أمرا مطلوبا حيث يدعو ذلك إلى بناء فضاء أوسع للمعرفة الإنسانية "منظورا يدرجها في باب المعرفة المتكاملة التي لا تغفل الإنسانيات ومختلف العلوم الأخرى في الجماليات والقيم والفنون بل وفي مختلف تجليات المنتوج الرمزي الصانع لحكمة الإنسان ولقدراته اللامتناهية في الابتكار والإنتاج المادي والرمزي "(1)

كما يشير تقرير المعرفة العربي للعام 2009 أن توسيع دلالات المعرفة في مجتمعات المعرفة جاء ضرورة بالنظر إلى التقارير الصادرة عن بعض المنظمات الدولية التي تنزع إلى تغليب معطيات معرفية تتعلق بمجتمعات معينة"فالفحص النقدي للمرتكزات والمؤشرات التي بلورها البنك الدولي في موضوع مجتمع المعرفة واقتصاديات المعرفة على سبيل المثال يكشف أن وحدة التحليل في التقارير المذكورة تعتمد على معطيات الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية "(2). ذلك أنه لا يمكن إجراء إصلاحات اقتصادية أو سياسية في

البيئة التمكينية لمجتمع المعرفة دون تشخيص دقيق لواقع المعرفة وصور التراكم المعرفي والفجوات المعرفية المتعلقة بالعالم العربي ، حيث يبقى مجتمع المعرفة العربي مشروع مجتمع ولكن هل يمكن لهذا المشروع أن يرقى إلى إحلال حالة النهضة المأمولة ؟ ولكن قبل ذلك ما هي النهضة؟ وكيف السبيل إليها وما هي متطلباتها الفلسفية ؟

1-تقرير المعرفة العربي2009ص32.

2-المرجع والمكان نفسه

المبحث الثاني:

النهضة ومتطلباتها الفلسفية

المبحث الثاني :النهضة ومتطلباتها الفلسفية

عاش المجتمع العربي في ظل الحضارة الإسلامية حالة التقدم والرقي والتي لم تتجسد فقط على المستوى الديني بل مست جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ،إلا أن حالة الضعف والتخلف التي أعقبت هذه المرحلة خاصة مع سقوط الدولة العثمانية وانهيار الإمارات الإسلامية الواحدة تلوى الأخرى تحت وطأة الحركات الاستعمارية جعل مطلب النهضة مطلبا مشروعا تقتضيه الضرورة للخروج من حال التخلف والضياع والفقر والتشتت إلى حالة أخرى هي حالة التقدم والرقي الحضاري.

هذا الانتقال من الوضع الأول إلى الوضع الثاني هو ما تنتجه عملية النهوض للوصول إلى النهضة المنشودة ،فالحديث عن النهضة هو في الواقع حديث إشكالي متجدد ومستمر لأنه يتأسس دائما وينطلق من السؤال الذي يبحث عن جواب له يتجسد على أرض الواقع ،هذا السؤال هو :ما العمل ؟ هذا السؤال قد أثقل كاهل المفكرين العرب منذ القرن التاسع عشر ولازال ينشد الإجابة في كل جيل عربي مثقف.

وها هو الدكتور مطاع صفدي في حديثه عن التاريخ العربي الذي يرى أنه مجرد تاريخ زمني لا ثقافي ،فهو يعبر عن تعاقب أحقاب وفترات زمنية وعصور رقمية رياضية إلا "أن له محتوى دلاليا واحدا ،إذ أنه يقع بين نهضتين: أولاهما حققت إستراتيجية معرفية قائمة بذاتها ،وأنتجت ثقافة حضارية متكاملة الفكر والواقع ،ودعوناها بالحضارة السلامية ، أما النهضة الثانية فإنها لا تزال تفتقر إلى زمانها ،تبحث عن مشروعها ،ويفصلها عن سابقتها ذلك التاريخ الذي لا يؤرخ شيئا سوى انقضاء الزمن فحسب ، إنه تاريخ الفراغ والهوة التي يتدحرج إليها كل ما كان حيا في السابق وهي الهوة كذلك التي يحاول أن يصعد منها تاريخ النهضة الجديدة "[1]

1--صفدي مطاع ، [النهضة المغدورة في خطاب التقدم العربي]،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 35،حزيران 1985،لبنان ص18

إنه وبالنظر إلى هذه الهوة والتي أصبح يتزايد حجمها يوما بعد يوم ليس فقط في مجال بعينه بل في شتى المجالات التي يسجل فيها الغرب حضوره القوي إما على المستوى الفكري أو السياسي أو الاقتصادي أو التكنولوجي، كلها تساهم في اتساع الهوة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف ،الذي وبالرغم من وضعيته المستسلمة للضعف إلا أنه جعل من ضعفه مكمنا لقوته ومدعاة من أجل السير نحو تحقيق الرّفاه والنّماء إذ يقول الجابري في ذلك :"هذا الوعي بالتخلف تولد عنه وعي آخر بضرورة النهضة خاصة بالنظر إلى الجهة الأخرى من العالم المتقدم ،والذي امتاز في فترته هذه بالينوعة والشباب ،أين أسس العصر الصناعي الذي قام بفتوحات جديدة في مجال العلم والتقنية ،بل بالنمو الهائل الذي عرفته الرأسمالية الأوروبية وبدأت في غزوها للعالم "[1]

وما دمنا بصدد الحديث عن مفهوم النهضة العربية الحديثة ،فانه من الواجب الذي تفرضه المنهجية المنطقية أن نطرح السؤال التالي :ماهي النهضة ؟

مفهوم النهضة :

إن الوصول إلى تحديد مفهوم النهضة ولو كان من الصعب الإحاطة به و حصره في مجال بعينه ،إلا أنه يكسب القدرة في التمييز بين مفاهيم عديدة هي وليدة البيئة التاريخية لهذا المفهوم،والتي لها ارتباط كبير بدلالاته ،والتي منها مثلا :الحداثة والتحديث ،التنمية والتقدم الإصلاح إلى غيرها من المفاهيم المتقاربة ،فلكل مفهوم تعريف محدد،ولكي لا يحدث خلط بين هذه المفاهيم بأن يستخدم مفهوم بدل آخر ،حيث لا يمكن أن تحقق الحداثة أو التنمية مثلا ما تحققه النهضة ،وثانيا لكي نستطيع معرفة الجوانب المهمة التي تتعلق بمسالة النهضة.

النهضة لغة :مصدر للفعل نهض ،"نهض ،نهضا ونهوضا :قام ،ونهض عن مكانه:ارتفع عنه ،وإلى عدوه أسرع إليه ،ونهض النبت :استوى،ونهض للأمر :قام واستعد ،والناهض

1-الجابري محمد عابد ،[العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي] ، مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 32،تشرين الاول 1984،لبنان ، ص44.

فرخ الطائر الذي وقّر جناحه وقدر على الطيران ،النهضة :جمعها نهاض وهي الطّاقة والقوة "[1]

فالدلالات التي تأخذها النهضة في الاستعمال العربي دلالات قوية في حد ذاتها ،ذلك أنها تعني القوة والطاقة ،كما تعني أيضا الحركة والتي هي نقيض السكون يقال :"كان منه نهضة إلى كذا أي حركة "[2]

وقد قال الفرزدق قديما :والشّيب ينهض في الشباب كأنه

ليل يصيح بجانبيه نهار

فمن الحركة مقابل السكون تحيلنا مفردة النهضة إلى السرعة والنشاط والتي يقابلها التأخر والفتور ،إذ يقال : "نهض نهضا ونهوضا :قام سرعا يقظا نشيطا"[3] و"النهاض: السرعة"[4]

كما تحيلنا الدلالة العربية للنهضة إلى مفردة التقدم وترتبط بها أيضا يقال :"النهضة :الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي وغيره ،والنهّاض :الدؤوب على أن يسلك سبيل التقدم "[5]

وقد تجسدت هذه الفكرة في خطابات النهضة العربية الأولى والتي جعلت هذا السؤال عنوانا لدراساتها الناحية منحى النهضة ،وكأنها ستعطي الجواب الحاسم أو تبين حقيقة جوهر عملية النهضة ،فكان السؤال لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون ؟

1-المنجد في اللغة والأعلام ،دون ذكر اسم المؤلف ،دار المشرق بيروت لبنان ،الطبعة 21،سنة 1986،ص.842

2-المرجع والمكان نفسه.

3-إبراهيم مصطفى وآخرون ،المعجم الوسيط ،دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ،ط 2 (دون سنة الطبع) ص.958

4-المرجع نفسه ،ص.959

5-المرجع والمكان نفسه.

أما عن المعنى **الاصطلاحي** لها ف"النهضة هي فعل الانبعاث " [1]

كما أنها تعبر عن "الحركة الثقافية التي بدأت في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر ،واستمرت حتى القرن السابع عشر ،وامتدت إلى بقية أوروبا ويؤثر البعض أن يسميها الإحياء Restauration،لأن الحركة كانت في الواقع إحياء للتراث اليوناني وانفتاحا على كل ما اتصف به حتى لو كان ضد الإيمان والكنيسة ،وتمثل الانفتاح في الاقتصاد في نمو حركة التجارة والرحلات البحرية ،وفي العلوم في الكشوف الفلكية وخاصة نظرية مركزية الشمس ،وفي الفلسفة في العودة إلى الفلسفة الأبيقورية ،وأشرف على النهضة الفكرية مثقفون أطلقوا على أنفسهم اسم الإنسيين Humanistes"[2]

أما عن الامتداد الزمني لمرحلة النهضة فإنها تبدأ من القرن الخامس عشر وتنتهي في أواخر القرن السادس عشر ،ومما يميز هذه الفترة أنها كانت غنية بالأحداث واعتبرت نقطة تحول من العصر الوسيط إلى العصر الحديث ،كما لوحظ خلالها العودة إلى الأدب القديم أي الأدب اللاتيني الملقح باليونانية ،كما ساهم اختراع آلة الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر في انتشار الآداب الايطالية إلى كل من فرنسا ،هولندا و ألمانيا ،انجلترا فتقسيم العالم الطبيعي إلى حدود كمية وما تميز به العلم من أفكار عن حركة العالم الميكانيكية ،بالإضافة إلى التقدم الحاصل في علوم الهندسة والفلك والفيزيقا ،كل ذلك ساهم وضاعف في ظهور أسباب للشك في معرفة الإله والطبيعة ،فعمقت روح النهضة المصاحبة للتقدم العلمي هوة الصراع في الفكر الإنساني بين الإيمان والفكر الحر ،فتغيرت النظرة اللاهوتية التي ورثها هذا العصر مع ما ورثه من معتقدات من العصر الوسيط "وكان من آثار المذهب الإنساني العمل على سلخ الفلسفة عن الدين ،بل العمل على تكوين فلسفة معادية للدين "[3] فجاءت

-André Comte-Sponville. Dictionnaire philosophique .Press Universitaire du France.1ere édition.2001.p501

2-د ألحفني عبد المنعم ،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،مكتبة مدبولي القاهرة ،ط3سنة 2000 ،ص616

3-المرجع نفسه،ص 615

الحركة البروتستانتية protestantisme(1483—1546) لتعبر عن تطور جديد في أصول اللاهوت المستند إلى العقيدة الكاثوليكية،فجعلت الصلة بين الله والإنسان مباشرة فقربت المتناهي من اللامتناهي عن طريق وسائل العبادة القلبية ،وإخلاص الضمير الديني المحقق للخلاص والنجاة ،فبعد أن كانت الحركة البروتستانتية تحتج على الغفرانات وتدعو إلى إصلاح الإدارة الكنسية والعبادة ،تحولت فيما بعد إلى" دين يقوم على الفحص الحر أي الفهم الخاص للكتاب المقدس وعلى التجربة الشخصية بغير حاجة إلى سلطة تحدد معاني الكتاب المقدس ،ثم تناولت العقائد بالفحص الحر ،وهكذا أضعفت علم اللاهوت"[1]

ولما قام الأمراء الايطاليون بتشجيع الفنون والعلوم والصناعات بحثا عن زيادة الترف انصب اهتمام الناس إلى استخدام القوى الطبيعية والبحث عن قوانينها ،فخرج العلم الآلي إلى التطبيق ،وتعززت هذه الاتجاهات العلمية مع كل من غليلي وكبلر Kepler Johann(1571-1630) وكوبرنيك ،فأحس الإنسان بسلطته و أحكم سلطانه على الأرض ، ولم يرض بذلك بل شخص ببصره إلى السماء مع اختراع التلسكوب فزاده ذلك طموحا وكبرياء،فشعر بالتحرر والقوة والثقة بمستقبل الإنسان وتقدمه ، وإذا كانت كلمة نهضة تفيد معنى الإيجاب فإنها يمكن أيضا أن تشير إلى الوهن والانحطاط ،"فان نعمل على نهضة ما هي أن نسلم بوجود انحطاط سابق من أجل تجاوزه ..نتراجع ولكن من أجل أن نتقدم ،فالنهضوي مثقف وفيّ ينير الطريق إلى المستقبل عن طريق القراءة المولعة بالماضي ،عن طريق تحدّيه لعباقرة الماضي"[2]

وقد انحصرت خصائص عصر النهضة في اتجاهين كبيرين هما : "الفردية القوية في الأدب والدين والسياسة ، والعناية البالغة بالعلم الآلي وتطبيقاته العلمية الرامية إلى توسيع سلطان الإنسان على الطبيعة والزيادة في رخائه"[3]

1-المرجع السابق ،ص 615

2-André Comte-Sponville. Dictionnaire philosophique-p502

3- المرجع السابق ،ص 615

حقيقة إذا كان هذا ما ميز النهضة الأوروبية من عودة إلى القديم وإحيائه إلى تطوير للعلوم والتقنيات وسيادة استعمالاتها ،هل نجد هذه الملامح تتجسد على وجه النهضة العربية ؟وما كانت مميزاتها ؟وما هي متطلباتها ؟

متطلبات النهضة في الخطاب العربي المعاصر :

لقد مّر معنا سابقا فكرة الوعي بالتخلف التي انجر عنها الوعي بالنهضة وضرورتها ،ويذهب كثير من المفكرين العرب إلى تحديد بدايات النهضة العربية إلى غزو نابليون لمصر (1798-1801) كما يذهب بالقول بذلك محمد عابد الجابري الذي يعبر عن الوعي بالتأخر الذي تشكل في تلك الفترة بأنه "لم يتبلور في تيار فكري يطرح شروط النهضة ويدخل في جدال مع الغرب بوصفه يمثل بسلاحه وبضاعته وفكره أكبر تحد تاريخي للعرب ،إلا في

مثل هذا العقد من القرن الماضي حينما أسس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده جمعية العروة الوثقى "[1]حيث شملت جهوده ما دعوة الأمم الإسلامية إلى الاتحاد ، ونبذ الاستعمار والتخلف والأخذ بأسباب النهضة بتحرير مصر والسودان من الاحتلال البريطاني ،وبالرغم من نشاط الجمعيات العربية في هذا المجال إلا أن الجابري يرى أن العروة الوثقى وإسهامها في بث الوعي النّهضوي في صفوف العرب مشرقه و مغربه "كان أعمق وأوسع من أي دور جمعية أخرى" [2] .وهذا يرجع أثره الكبير إلى ما كانت تبثّه المجلة التي كانت تصدر عن الجمعية بنفس الاسم (العروة الوثقى)والتي كانت توزع سرّا من باريس إلى كثير من عواصم العالم العربي ،فامتد أثر هذه الصحوة ليصل إلى الجزائر فتبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،فقامت بإنشاء جرائد شتى كالمنتقد والشهاب والمنتصر ،وكان آخرها جريدة البصائر ،فلخذت تنحو نفس المنحى، باعتبارها تحلل الواقع الاستعماري وتقوم على

1-الجابري محمد عابد،[العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي]،ص44

2-المرجع والمكان نفسه.

رفض سياساته التدميرية التي تعمل على نخر جسد الأمة بتفتيت لغتها ومحاولة طمس هويتها وإبعاد أبنائها عن مقوماتها الإسلامية .

أما الدكتور محمد أركون فانه يرى أن أولى بدايات شرارة شعلة النهضة قد انبثقت مع ظهور الاتجاه الإصلاحي والبارز أساسا في كتاب رفاعة الطهطاوي تلخيص الإبريز،إذ يقول عنه أركون أنه :" يرسم سلفا الأفكار الأساسية للنهضة ويسوغ مفهوم انبعاث الحركة الثقافية العربية "[1]

وقد شجّع محمد علي انتشار هذا الكتاب سنة 1834،كما أمر بترجمته إلى اللغة التركية ،وهو في نظر الكاتب علامة على تخلف اللغة العربية في أوساط الطبقة الحاكمة.

يتضمن الكتاب السالف الذكر سيرة حياة كاتبه ،وإن كان يعرضها بتفاصيل دقيقة ،إلا انه كان

يعبر عن الأوضاع الثقافية والسياسية لبلد مصر،ذلك أنه قد عرف عن جملة الأدباء والمفكرين المعاصرين ميلهم إلى كتابة سيرهم الذاتية ،خاصة بعد إقامة دراسية أو رحلة تعليمية،يتحملون من خلالها شعور المسؤولية عن الأهل والمقربين ، لينمو ذلك الشعور بالمسؤولية التربوية من الأسرة إلى الجماعة القومية ،فيصبح مسؤولا بوجه عام حيال المسلمين كافة "ذلك أن كل واحد يعيد التفكير بوسائل فكرية مختلفة في وضعه الخاص بوصفه عربيا مسلما يعيش في ظل عدم مساواة يشتد الحكم على أنها حياة لا تطاق كلما زاد الحكم عليها بأنها ظلم لا مسوّغ له" [1]كما يلاحظ الدكتور أركون أن هذا التوجه نحو الإصلاح هو رجوع في حد ذاته إلى الشكل الحقيقي الأصلي للتعليم الإسلامي مستشهدا في ذلك بالآية الكريمة :"هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ،وإن كانوا من قبل لفي ظلال مبين "[2] .فقد عاشت الأمة الإسلامية جوا من التقهقر

1-أركون محمد ، الفكر العربي ،تعريب الدكتور عادل العوا ،منشورات عويدات ،باريس ،ط3،سنة1985،ص148

2-المرجع السابق ،ص ص/148،149

3-سورة الجمعة ،الآية 2

والبعد عن الطريق الحق ،حتى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فأقام الحدود ،وحدد الخطأ من الصواب ،وجعل للأمة دربا منيرا تسير عليه وهو درب الهداية والإسلام ،وخلصها من كل ما لصق بها من عماء الجاهلية فأخرجها من الظلمات إلى النور .

وقد ساد الموقف الإصلاحي في الفكر العربي حتى حوالي سنة 1950والذي عمل صوب تحقيق هدف واضح وهو :"إعطاء المدنية العربية الإسلامية أصالة وحركية تتيحان لها بكرامة منزلتها في جوقة الأمم الحديثة "[1]

إجمالا فان الدراسات التي تعرضت للنهضة من أولى بداياتها يستسيغ البعض أن يقسمها إلى فئتين هما المؤسستين لخطاب النهضة المعاصر، هاتان الفئتان هما:

1-فئة مثقفي التيار السلفي

2-فئة مثقفي التيار الليبرالي

إلا أننا وجدنا لزاما علينا ونحن نمر بأفكار كل فئة أن نتعرض لثنائية الذات والآخر في كل خطاب ،ذلك أن هذه الثنائية تجسد وتجلي اللثام عن الطريقة التي ينظر من خلالها للتقدم والنهوض.

مطلب النهضة وثنائية الذات والآخر :

إن الاحتكاك بالغرب خاصة في الفترة التي ميزت العالم العربي بأنها فترة استعمارية تبدت من خلالها دعوات عديدة تطالب بإخراج المحتل من الأراضي العربية ،ومقاومته بشتى الوسائل ،كما أنها تميزت في الوقت ذاته بالإعجاب بالتطور الهائل الذي وصلت إليه تلك الأمم الغربية ،فكانت تدعو إلى طلب العلم وتعلم اللغات الأجنبية ،وتحصيل العلوم المختلفة ، من هنا بدأت ملامح الموقف العربي من الغرب تتبدى وتمتزج فكان هذا الموقف المتسم بالتناقض الوجداني "الإعجاب بالغرب وبعلومه وصناعته وأفكاره التحررية، والدعوة إلى

1-أركون محمد ، الفكر العربي ،ص150

اقتفاء آثاره والأخذ بأسباب تقدمه، والكراهية لنفس الغرب الغازي التوسعي الاستعماري والدعوة إلى مقاومة نفوذه والتحرر من هيمنته "[1]

هذا الموقف المتسم بالإعجاب والكراهية جعل المثقف النهضوي يطرح على نفسه أسئلة صعبة :ماهي أسباب الضعف الذي دبّ في أوصال الإمبراطورية العثمانية ؟وما سرّ تقدم الغرب ؟وما هو الطريق للّحاق بما أنجزه من علوم وتقنيات ؟ حيث يذهب الدكتور أحمد برقاوي في كتابه "محاولة لقراءة عصر النهضة"إلى تفسير ذلك أن المثقف العربي اكتفى بالبحث عن الأفكار فكانت أجوبته في الأساس لا تتعلق بالواقع بل تقصيه ،فلْخذ ينهل أجوبة من واقع الغرب وتارة من الماضي الإسلامي أو التراث ،وتارة أخرى بالتوفيق بينهما حيث يقول :"كان الحاضر المقلق مقلقا لأنه مرفوض فغيبه ولم يجد فيه ما يدعوه لأخذه بعين الاعتبار ،أي تجاهله على مستوى الإجابة وظل منتصبا أمامه كواقع يجب تجاوزه " [2] فللنظر إلى الواقع باعتباره يخلو من أي عنصر ايجابي يجرده من البعد الايجابي للقوى السياسية والاجتماعية ،ويشل فيه كل حركة داخلية قادرة على تحريكه ،في حين يجري البحث عن محرك آخر يكون خارج هذا الواقع ،إما من الغرب باعتباره النموذج المحتذى ،النموذج الجاهز ،وإما من التاريخ الذي انقطع وكف عن الوجود فهذا الإعجاب بالتاريخ العربي وكذا بالنهضة الغربية يقود البعض وبصورة ساذجة إلى احتقار الراهن.

فمع تجذّر الحضور الغربي بأشكاله المختلفة منذ القرن الخامس عشر وصولا إلى الراهن والمصلحون والمفكرون والسياسيون العرب يعبرون عن المحنة التي أصابت الأمة العربية بمستويين مختلفين أولهما :المقارنة بين الغرب والعالم الإسلامي ،وثانيهما المقارنة بين حاضر العرب والمسلمين وماضيهم ،وفي المستويين فان هذه الثنائيات التي تفصل بين

1-الجابري محمد عابد ,[العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي] ،ص44

2-برقاوي أحمد ،محاولة في قراءة عصر النهضة ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،ط2، 1999،ص56

الحاضر والماضي ،أو التراث والأصالة أو التقدم والتأخر ،أو الأنا والآخر ،أو الشرق والغرب هي سجلات معرفية التقت عندها العوامل العربية والإسلامية بالعوامل والمعطيات الغربية وتفاعلت فيها بالتأثر ،(أبعاد الدين والأخلاق) مع ما أنتجه الفكر السياسي الغربي الحديث ،وتباينت فيها النظم والسلوكيات الاقتصادية الثقافية الغربية الجديدة مع الممارسات التقليدية العربية الإسلامية إلى جانب العلاقات الاجتماعية المختلفة.

1-التيار السلفي :

إن خطاب النهضة في التيار السلفي يقوم على مبدأ الرجوع إلى الماضي باعتباره حاملا لمشعل التقدم وهو الأصل ،فالرجوع إلى الأصل وبعثه هو خلاصة الدعوة النهضوية السلفية ،فالمثقف السلفي يحدد علامات الانحطاط والتأخر من منطلقين أساسيين :المنطلق العقائدي والذي يمثل الإصلاح الديني ،والمنطلق التاريخي والذي يمثل الإصلاح السياسي ،ومن خلال هذه التحديدات تبرز أوجه الاختلاف بين التيار الليبرالي والتيار السلفي في .

ا-المنطلق العقائدي:

يقول الدكتور كمال عبد اللطيف:"إن الخطاب السلفي سعي لتجديد الاستمرارية المتشبثة بالأصل، أي الساعية لإحياء وبعث الإسلام"[1]

فالسبب القائم وراء تأخر المجتمع الإسلامي يكمن في ابتعاد أفراده عن الدين ، أو في تمسكهم بدين البدع (أخلاق التصوف ،التعليم الجامد) ،ولا سبيل إلى تجاوز مأزق التأخر والركود إلا بالعودة إلى الأصل ، لأنه كان السبب وراء كل تقدم وصعود ،فلا خلاص للعالم الإسلامي من كل معاناته البائسة مع التخلف إلا في عودة أبنائه إلى الأصل والمتمثل أساسا

1-كمال عبد اللطيف ،[الخطاب النهضوي المعاصر] ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 18 ،كانون الأول 1981 – كانون الثاني 1982 ،القاهرة ص 20.

في النص ،وقد ألقى المؤرخ الفرنسي رينان محاضرة سنة 1883 تحت عنوان الإسلام والعلم ،وقد تضمنت هذه المحاضرة الدفاع عن قضيتين اثنتين يتهم فيهما الإسلام والمسلمون بأن الديانة الإسلامية مناقضة للعلم ومعادية للعلماء ،وبأن المسلم غير صالح بطبيعته لفهم الفكر الفلسفي .

وقد أرجع جمال الدين الأفغاني الممارسات التي يقوم بها المسلمون أنها تتعلق بواقعهم وأن الإسلام متبرئ منها ، أما النقطة الثانية فقد ميز فيها الدور الكبير الذي أحدثته المساهمة الفلسفية الإسلامية الوسيطية باعتبار أنها لم تكتف فقط بنقل وترجمة التراث اليوناني والفارسي في حقل الفلسفة والعلوم ،بل إنها طبعت هذا التراث بالروح الإسلامية .

ب- المنطلق التاريخي /الإصلاح السياسي :

لقد تزامن نشوء الخطاب النهضوي السلفي مع بدايات التسرب الامبريالي ،فقد اعتبر السلفيون أن الهيمنة الغربية تسعى لإلغاء الهوية الإسلامية ،ولهذا يجب محاربتها والتصدي لها ،وقد باشر كل من محمد عبده والأفغاني في خطابهما السياسي المباشر "العروة الوثقى"

تحليل وانتقاد السياسة الاستعمارية في الشرق وخاصة سياسة بريطانيا في كل من مصر والسودان ،وفي نفس الوقت كانا يحثان الدول الإسلامية على الوحدة من أجل تجنب أخطار الهيمنة الغربية ،وذلك ما طمحت إليه حقا جمعية العلماء المسلمين وهي تحارب المساعي الفرنسية الهادفة لأجل تجنيس الجزائريين من جهة وتجهيلهم من جهة أخرى ،فقد أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس فتواه الشهيرة الرافضة لقانون التجنيس فقد أحدثت أثرا كبيرا ليس في الجزائر فحسب بل في المغرب العربي قاطبة .

إن المنطلقين السابقين يشكلان المحاور الكبرى في بنية الخطاب السلفي فهو من جهة خطاب يسعى لتصحيح الاعتقاد وفتح باب الاجتهاد لتجديد الإسلام ،فكان ذلك هو المنطلق العقائدي ،ومن جهة أخرى فانه خطاب يرمي إلى رسم حدود الأمة الإسلامية التي لا تفرط في رسالة الله فيكون بذلك المنطلق التاريخي ،ولعل أبرز ما يجسد هذين المنطلقين مفهومان هما بعث الإسلام وكونيته .فقد تبلور مفهوم بعث الإسلام كما يرى الدكتور كمال عبد اللطيف

في التيار السلفي من أجل "التبشير بوسيلة التأخر التاريخي ،وذلك لأن بعث الدين الإسلامي يكفل للمتأخرين من المسلمين النهضة والترقي "[1]

يقيم التيار السلفي مفهوم كونية الإسلام باعتباره البديل الوحيد المخلص للعالم من كل الشرور ويقترح العقيدة كوسيلة لإصلاح مجتمع البشرية ،فالإسلام لا يساهم في رفع حال التخلف عن المجتمعات الإسلامية وتقويتها فقط ،بل إن أثره سيمسّ العالم بأسره فيساهم في تحقيق التقدم الروحي مقابل التقدم المادي .

وقد حاول جمال الدين الأفغاني في رسالته "الرد على الدهر يين "تحديد شروط سعادة ورقي

الأمم والتي صاغها في أربعة :"شرط أول عقيدي يقوم على تصفية العقول من لوث الأوهام وكدر الخرافات ،وشرط ثان أخلاقي يوجه نفوس الأمم إلى بلوغ أعلى مراتب الكمال ،وثالث

عقلاني يقضي بالتحرر من التقليد بالتعلق بالدليل والاحتكام إلى العقل ،ورابع أخلاقي تربوي يخلص النفس من سلطات الشهوة ويهذبها بالمعارف الحقة والفضائل السامية "[2]

هذا التيار إذ يركز على العقيدة ،الأخلاق والعقل والتربية في خطابه النهضوي ،فانه يعود إلى تقديس الأصل والخصوصية والتي يرى فيها الدكتور كمال عبد اللطيف أنها مجرد خطابات تسعى إلى مواجهة غرب وهمي ،غرب النصرانية والصليبية وهي إذ ذاك "لا تنتج أكثر من تبريرات تهدف إلى استبدال هيمنة الزمن الامبريالي بهيمنة زمن متخيل ،هو زمن انبعاث الإسلام ،ومن هنا فان كل حديث عن الأصالة لا يشكل في عمقه إلا حديثا عن مشروع هيمنة رغبة في استبدال هيمنة مسلحة بأسلحة المعاصرة(العقلانية والتقنية) بهيمنة مسلحة بمبدأ الرجوع إلى الأصل أي استبدال زمن الأحياء بزمن الأموات "[3]

1-المرجع السابق ص84

2-المرجع نفسه ص.85

3-المرجع والمكان نفسه.

2-الخطاب الليبرالي :

إن الزمن الامبريالي الذي تميز بالاحتلال العسكري والاستغلال الاقتصادي لم يقف عند هذه الدرجة بل تعداها إلى زمن تهيمن فيه الثقافة الأوروبية السائدة بكل تياراتها والتي انتقلت بصورة مختلفة إلى العالم العربي وامتزجت بالثقافة المحلية وذلك بداية من القرن التاسع عشر فحاول مترجمو ونقلة هذا الفكر الغربي صياغته وتوظيفه ضمن خطاب النهضة العربية .فعبر بذلك التيار الليبرالي بمختلف أجنحته عن واقع التأخر التاريخي السائد في مجتمعهم وتبينوا أن خلاص مجتمعهم لا يكمن في الحل المقترح من قبل الخطاب السلفي ،بقدر ما يكمن في تمثل قيم ومنجزات الغرب باعتباره مثل التقدم والرقي الحضاري فالدين الإسلامي يعوق العرب عن النهوض إلى مستوى الحضارة الغربية ،وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخليص المجتمع من نفوذ الدين ، وقد اشتغل بداية المثقفون الليبراليون بالصحافة فكانت

جملة من الصحف والمجلات تعبر عن التوجه الليبرالي منها المقتطف والجامعة والجريدة والهلال. أهم ما دعت إليه وتميزت به الدعوة الليبرالية هو الالتزام بتحقيق الأمرين التاليين :

1-الحرية :

إن الدعوة الليبرالية في الغرب ترتكز على مبدأ الحرية ،الذي يعطي الكائن الفرد الاعتبار الحقيقي ،فالجديد الذي أتت به هذه النظرة في المجتمع العربي هو تغيير النظرة من اعتبار الجماعة مركز الإهتمام إلى تركيز النظر على الفرد ،ولربما كان هذا أبرز ما تلقته العقول الإسلامية أثناء انفتاحها على الحضارة الغربية التي هي في جوهرها حضارة فردية،فالفرد يسبق المجتمع بهذا الاعتبار ،فتكون غاية الغايات هي السعادة ،وهدف الاجتماع الإنساني هو التقدم الاجتماعي ،ومعيار ذلك هو مدى نصيب الفرد من الحرية "لذلك تنبغي مقاومة كل طغيان سياسيا كان أم دينيا لأن استقلال الفرد مبدأ أول ،كما تنبغي معارضة سيطرة رجال الدين على الدولة تحت أي شكل "(1)

1-د كمال عبد اللطيف ،[الخطاب النهضوي المعاصر] ،ص89

ولما كانت كرامة الإنسان هي ضمان تعبيره الحر عن ذاته ،و أن أخص مظاهر هذا التعبير هو الهتعبير عن الرأي، فقد ناد المثقفون الليبراليون العرب بالحرية الفكرية من أجل تحقيق مبدأ حرية المعتقدات ،حرية القول والفعل ،كما طالبوا بالحرية السياسية وذلك بالدعوة إلى الديمقراطية وأساليب الحكم الديمقراطي ،كما نادوا بالدولة القومية كبديل لفكرة الجامعة الإسلامية، وما يلاحظه السيد كمال عبد اللطيف على توجه التيار الليبرالي في دعوته للحرية فإنه لم يتمثل هذا الفكر الليبرالي الغربي في حدوده التاريخية بل قرأه قراءة انتقائية "فساهموا بصورة ايجابية في إحداث نقلة أساسية في مناخ الفكر العربي خاصة و أن واقع التأخر التاريخي في صوره الاستبدادية المتعددة الأشكال يسمح بصياغة فكر من هذا القبيل . أي فكر يجعل الدعوة إلى الحرية مهمة من مهماته المستعجلة"[1]

2-العقلانية :

تعني العقلانية في الفكر العربي المعاصر ،العمل بمقتضى العقل مقابل العمل بمقتضى الوحي ،وهو لا يتعلق بمفهوم العقل والمعقول التي يصوغها الخطاب السلفي ،يقول الدكتور حسن حنفي :"العقلانية العربية هي أحد ركائز المشروع الحضاري العربي العقلانية غير العقلنة ،العقلانية منهج في حين أن العقلنة تطبيق وتحقيق العقل في الترشيد وهي ليست مجرد رؤية بل هي ممارسة في شتى نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية "[2]

فمن هذا المنطلق تكون العقلانية تمجيدا للإنسان وامتيازا له لأنها تحدد فعل الاستطاعة البشرية كما تحفزه لإعمال العقل في النظر والتطبيق معا .

وقد تعددت أساليب توظيف العقلانية في الخطاب الليبرالي المعاصر إلا أنها تكاد تجمع على

1-د القرني عزت ،العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة ،سلسلة عالم المعرفة 30،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،دون طبعة ،1980 ص246

2-د حنفي حسن ،حصار الزمن الحاضر ،مركز الكتاب للنشر القاهرة ،ط 1 ،2004 ،ص161

النزعة الإنسانية كبعد مركزي في الخطاب الليبرالي الغربي المعاصر.

إلا أن ما يميز العقلانية العربية هو ارتباطها بمفهوم العلم ،إذ يتحدد هذا الأخير في صورته الوضعية مقابل الأسطورة واللاهوت والفلسفة ،ويضيف في ذلك السيد كمال عبد اللطيف قائلا :"لقد كانت عقلانية الليبراليين العرب ذات منحى وضعي سافر ،إلا أن هذا المنحى ساهم في تفجير التناقض بين الوحي والغائب ،وبين العلم والشاهد ،وهو تناقض مارس نفس الوظيفة في سياق التاريخ الأوروبي "[1].

وقد تميزت نظرة الليبراليين للعلم وأخذت ثلاثة أشكال :

1-العلم باعتباره مجموعة من الحقائق اليقينية التي تمنح الإنسان معرفة صحيحة بالطبيعة

والإنسان ،وتكاد تنحصر في الخطاب الليبرالي المعاصر على النظرية الداروينية والآفاق والنتائج التي طرحتها في مجال الفكر .

2-العلم وسيلة للاقتراب من المعرفة الصحيحة وهو وسيلة تعتمد العقل والتجريد أي تعتمد على الإنسان والطبيعة ،ومن هنا اختلافها عن المعارف ذات الطبيعة العقائدية ،واعتبروا أن ما ينتج عن الممارسة التجريبية من المعارف يجب قبوله وما لا تؤدي إليه الممارسة التجريبية يجب رفضه.

3-العلم كرؤية فلسفية مادية للإنسان والعالم وقد اعتبر المثقفون الليبراليون أن محور فلسفة العلم هو فكرة التطور والتغير ،ولهذا نادوا بضرورة تغيير وتطوير قيم الشرق مع ما يتناسب مع مبادئ ومناهج العلم ،أي مع قيم المعاصرة.

مما سبق يتضح أن التيار الليبرالي جنح إلى استعمال العقلنة والعلم لتهديم خطاب الوحي والتقليد ،مركزا في ذلك على إبراز الشروط الضرورية والبشرية اللازمة لتجاوز

1-كمال عبد اللطيف ،[الخطاب النهضوي المعاصر]،ص89

حال التأخر والجمود ،فـأفرز مفهوم العقلانية في بنية الخطاب النهضوي الليبرالي مفاهيم أخرى تابعة كالنقد والتنوير والتجريب والعلم والتقدم.

"وتكاد تجمع الإيديولوجيات العربية المعاصرة الليبرالية والقومية والماركسية والإسلامية المستنيرة على أن العقلانية هي طريق التقدم ،وتعم العقلانية قضايا الثقافة والمنهج والتراث ومناهج القراءة والتأويل بين الثقافتين العربية والغربية ،وأشكال الهوية والعالمية"[1]

إن كل تيار أقر بحقيقة أن النهضة ضرورية ،فارتكز خطاب المثقف العربي الليبرالي على استحضار صورة الغرب وهو نموذج ثقافي تاريخي جاهز في حين اعتمد المثقف السلفي على نموذج السلف الصالح كمثال لكل وحدة أو نهضة مرتجاة ،هذا التآخذ والتصارع في أوجه الصراع مع الذات والآخر اقترح له الدكتور مطاع صفدي منهجا خاصا دعاه

بجدلية المشاكلة والمثاقفة .إذ أن هذه الجدلية هي التي تحدد اللحظة النهضوية من حيث أنها سعي لاستعادة فعالية التراث ، إلا أن هذا السعي كثيرا ما ينتهي مع بعض نتاجات الميراث ،فيقع كل جهد لإحلال النهضة في المشاكلة مع الأنماط المنقضية ،وإما أن هذه الجهود قد تسقط فعالية النهضة في استعارات من إنتاج التقنية دون إحداث امتلاك أو اتصال بأنظمتها المعرفية و"المشاكلات الايديولوجية التي يتخذها عصر النهضة عناوين متوالية له بدءا من الليبرالية إلى التحررية الوطنية ،إلى قومية الدولة ،فالماركسيات وصولا إلى السلفيات الراهنة لم تستطع جميعها أن تخترق أنظمة المعرفة السائدة والتصدي لنظامها الشمولي ولذلك ساهمت جميعها في تعزيز سلطة الميراث المستعار ،من ماضي الأمة ، أو من ظواهر الحضارة التقنوية المعاصرة وكانت حصيلتها تدعم سلطانا أكبر لنظام الأنظمة المعرفية المؤسس لهذا النظام "[2] .

وجدير بالذكر الاهتمام ببصيص الأمل الظاهر مع الجيل الجديد في الفكر العربي المعاصر

1-د حنفي حسن ،حصار الزمن الحاضر ،ص16

2--صفدي مطاع ،[النهضة المغدورة في خطاب التقدم العربي] ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 35 ،حزيران 1985 ،لبنان ،ص17

الذي يسعى إلى تجاوز جيل المشاريع العربية عن طريق ممارسة "نقد النقد"ويظهر هذا في نقد العقل العربي للجابري ،أو نقد العقل الإسلامي مع أركون ،ونقد العقل الغربي بمنتجاته الفكرية والتقنية مع مطاع صفدي ،فما تهدف إليه هذه المشاريع ومثيلاتها ليس هو إحداث الوفاق أو المصالحة بين القوى السياسية والتيارات الفكرية التي تزخم بها الثقافة العربية، بقدر ما هو تفجير للواقع وانطلاق منه قصد إبراز خصوصية الإبداع في الفكر العربي ،فهذا الجيل يسميه الدكتور حسن حنفي "جيل العقل التاريخي ،الذي يتجاوز توفيقات العقل الإصلاحي والعقل الليبرالي ،وانشطار العقل العلمي العلماني ليقوم بتحليل العقل من خلال الفكر وفي قلب الواقع "[1]

من هنا تصبح الحاجة ماسة إلى الفلسفة إلى الفكر الفلسفي العربي حيث تكون الفلسفة "احتياجا باعتبارها روح التجمع واليقظة والسيطرة على صناعة المصير ،إن الفلسفة لا تفهم بتعريفها بل تفهم برسالتها ،ورسالتها انتشال الإنسان من تمزقه وضياعه واغترابه "[1]

وما يشترط في أول الأمر من هذه الدراسات المنطلقة من الواقع حتى تحدث نهضة وقفزة إلى الأمام أن تحدد موقفا معرفيا من :

1-التراث :وذلك بانتهاج "منهجية قوامها النقد والفحص في قراءة تراثنا لمعرفة الجوانب الحية من الجوانب الميتة،والجوانب المعقولة من الجوانب غير المعقولة " [3] ،ذلك أن كل نهضة حضارية إنما تنطلق من الرؤية السليمة للتراث والتراث الإسلامي غني بالعطاء المعرفي العقلي البشري ، وما أعظمها من مهمة نقوم فيها بدراسة أفكار عظماء الإنسانية

1-حنفي حسن ،حصار الزمن الحاضر،ص165

2-مجاهد عبد المنعم مجاهد ،الفلسفة على شجرة المستقبل ،الأعمال الكاملة ج 3،دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ،ط 1، 2001 ،ص36

3-الميلاد زكي ،المسالة الحضارية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط1 1999 ،ص98

وخاصة منهم عظماء الفكر الفلسفي العربي فالاتصال بهم عن طريق دراسة وتحليل ونقد أقوالهم "لا يعني أن نخسر ما عرفنا سابقا بوضوح ،ولا أن نغرق في ظلمة الأوهام التي بددها انبلاج النور ،ولا أن نفقر أنفسنا بأن نأتي على القوى التي توجه الإنسان شطر إمكاناته الأسمى ،قواه المكافحة في الزمان ، وإنما يعني الأمر النهوض بمسؤوليتنا حيال العظماء بأن نمنحهم مجددا الكلام في حدود طاقتنا فنحقق بذلك أنفسنا في حقل الفكر المنير الذي تناوله مفكرون من قبل ،ونبني بذلك نفوسنا بفضل مكاسب التاريخ "[1]

2-الغرب :والذي تحتاج دراسته أيضا انتهاج منهجية علمية لقراءته ودراسته حضاريا "بكيفية معمقة ومن خلال مناهج نقدية متعددة"[2]

فكل مشروع نهضوي مطالب بدراسة وتحديد موقفه من الآخر باعتباره حالة من حالات النقد الحضاري.

إلا أنه لا يمكن اتخاذ أي موقف قبل النظر والتأمل أو قبل التفكير ؟فما الذي نقصده بالتفكير ،وما أهميته ؟ وهل يمكن تعلمه ؟ وما قيمة التفكير الأعلى رتبة في مجتمع المعرفة ؟ وماهي الوسائل التي تمد الفلسفة الإنسان بها حتى يفكر تفكيرا عالي الرتبة؟

1-ياسبرس كارل ،عظمة الفلسفة ،تعر الدكتورعادل العوا،منشورات عويدات باريس لبنان ،ط4 ،1988 ،ص115.

2-الميلاد زكي ،المسألة الحضارية ، ص9.

الفصل الثاني

الفلسفة ودورها في إقامة مجتمع المعرفة

المبحث الأول : من أجل فلسفة للتعلم والتفكير

المبحث الثاني : الفلسفة وتنمية التفكير

المبحث الأول:

من أجل فلسفة للتعلم والتفكير

أ-الفلسفة وتعليم التعلم :

لقد جاء في تقرير المعرفة العربي للعام 2009 أن:"تعزيز طريق تملك مجتمع المعرفة في الوطن العربي لا ينفصل عن مطلبي النهضة والتنمية الإنسانية "[1]

فكل خطوة للسير في طريق بناء مجتمع المعرفة لا يجب أن تخرج عن ايطار الحديث والنظر في نهضة وتنمية هذا المجتمع ."ذلك أن الذي ينمو ولا ينهض فانه يفقد دلالتي النهوض والنمو معا ،لكن الذي ينهض ولا ينمو فـانه يظل واعدا أو قادرا على تحقيق فعل النمو ،بل إذا انتهجنا نهج التّمعين تبين لنا بكل وضوح أن مجرد تحقق فعل النهوض لا بد أن يلازمه فعل النمو ، أما العكس فليس صحيحا"[2]

ففعل النهوض إذا أوسع وأعمق من فعل النمو ،بل إنه يشمله ،فمجتمع ينمو ديمغرافيا أي يتزايد عدد أفراده ليس بالضرورة مجتمعا ناهضا ،ذلك أن تزايد عدد أفراده قد يكون عبئا في طريق نهضته.

كما أن تنمية جانب معين وليكن في العتاد مثلا كنمو أعداد الحاسب الآلي وانتشارها ،وكذلك نمو عدد حاملي البطاقات الممغنطة ،وكذا تزايد عدد المشاريع الإسكانية كلها ظواهر تنموية إلا أنها لا تعني بالضرورة أن هذا المجتمع الذي وفر الكثير من الآلات والوسائل هو مجتمع ناهض ،فالأولى أن يتوجّه إلى تنمية مستعمل هذه الوسائل وهذه الآلات ،وساكن هذه المنشآت ذلك أن :"التنمية إنما تنصبّ على تعيين الوسيلة أو بالأحرى توفيرها ،بينما النهضة تتوجه إلى مستخدم الوسيلة إلى تلك الذات الفردية والاجتماعية التي يقع عليها عبء التغيير والتي هي عليها أن تتغير "[3]

1- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، تقرير المعرفة العربي 2009 (نحو تواصل معرفي منتج) ، شركة دار الغرير للطباعة والنشر ،الإمارات العربية المتحدة دبي ،ص49

2-مطاع صفدي ،[فلسفة التنمية ،التخلف ،التقدم] ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،العدد57/56اكتوبر 1988،لبنان ،ص5

3-المرجع نفسه ،ص9

ولما كان "أهم نشاط إنساني الذي هو أيضا شرط مسبق للرّفاه هو التعلم " [1] فأصبح من الواجب إذا الاستثمار في التربية والتعليم كوسيلة لتجاوز التخلف والارتقاء بمستوى الفرد العربي وتحسين أوضاع التنمية الإنسانية ،فما أصبح يتطلبه بناء مجتمع المعرفة هو بناء اللبنات المتماسكة فيما بينها والتي تتمثل في فئات الأفراد المتعلمة المبدعة ،حيث أصبح الإنسان المتفوق والمبدع هو حجر الزاوية في كل عملية بناء وتشييد "ويعتبر التعليم أحد أهم عناصر التنمية البشرية ،ومن أهم ركائز بناء مجتمع المعرفة ،وهو الوسيلة الفعالة لمحاربة الفقر والجهل والتطرف ،والحد من الأزمات الاجتماعية والاضطرابات السياسية وتأمين الاستقرار"[2]

فالمدخل إلى تحقيق نهضة معرفية أصبح يرتبط أشد الارتباط بعمليات التعلم والتعليم "فوضع رؤية وتصور لتحقيق تنمية بشرية شاملة يكون المدخل إليها وضع سياسات تربوية وعلمية وإنمائية تحدد فيها آليات تحقيق جودة مخرجات التعليم وأهداف البحوث العلمية ووسائل تنفيذها وتأهيل المدرسين والباحثين وتدريبهم ،وعقد صلة بينهم"[3]

ولكن إذا كانت هذه هي أهمية التعليم في مجتمع المعرفة ،وإذا كان التعلم مفهوما أعمق من التعليم إذ أنّه يشمله إلى جانب جميع أشكال اكتساب المعارف والمهارات والخبرات مدى الحياة من الطفولة المبكرة إلى الشيخوخة المتأخرة ،إذا كان كذلك فهل تمتلك الدول العربية رأس المال المعرفي اللازم للمشاركة في مجتمع المعرفة ؟

تظهر الوثيقة المرفقة جانبا موقع كل من الدول العربية المحقق أو المقدر بناء على المعطيات المتوافرة عن تقرير المعرفة العربي للعام 2009 ،وهذه الأرقام تختص بالعام 2005 تعبر عن سلم المقومات الكمية لمجتمع المعرفة لكل من أجيال الأطفال والشباب

1-هاليداي فريد ،الكونية الجذرية لا العولمة المترددية ،تر خالد الحروب ،دار الساقي ،ط1 ،2002 ،لبنان ،ص 237

2-الحسيني عبد المحسن ،التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة ،الدار العربية للعلوم ،بيروت ،ط1 ،2008 ،ص69

3-المرجع نفسه ص، 26

والكبار.فأول ما نلاحظه هو الاختلاف الجلي والتفاوت الكبير بين المجتمعات العربية في توافر رأس المال المعرفي الكمّي المسهل للمشاركة في مجتمع المعرفة ،حيث نجد أن كلا من ليبيا والبحرين قادرتان على الانخراط بثقة في مجتمع المعرفة بمحصلة عامة تقترب من 84% وتليها كل من قطر والأردن بمحصلة عامة تفوق 74% ، وتتبع هاتان الدولتان في التحضير للمشاركة في مجتمع المعرفة كل من لبنان والكويت والإمارات وتونس وفلسطين ومصر والجزائر ،بمحصلة عامة بين (69% و74%)، في حين نرى أن كلا من اليمن وجزر القمر وموريتانيا والسودان وجيبوتي والصومال عاجزة عن تحقيق مقومات الحد الأدنى اللازم لمختلف شرائح المجتمع للمشاركة في مجتمع المعرفة ، حيث تبقى القدرة على المشاركة في مجتمع المعرفة محصورة بنخب قليلة العدد .

في حين نجد أن كلا من سورية والسعودية والعراق وعمان في درجة وسيطة(66%-58%) والمغرب في حدود الحد الأدنى الممكن للاعتماد على عليه52%.

أما الملاحظة الثانية فهي أن حظوظ الأطفال في الحصول على المعارف اللازمة للمشاركة في مجتمع المعرفة تفوق حظوظ الفئات الأخرى.

إلا أن حظوظ الشباب في تكوين رأس مال معرفي أكبر من الذي تكونه فئة الكبار لا يتحقق دوما في جميع الدول العربية ،حيث نجد في الكثير منها أن رأس المال المعرفي المقدر للشباب ينخفض عن ذلك المقدر للكبار ،والدول المعنية بذلك هي :الكويت ،سورية ، السعودية ،العراق ،المغرب ،جزر القمر ،موريتانيا والسودان ، جيبوتي .

وإذا جئنا لتفسير ذلك فـإنه من غير الممكن إلقاء اللوم فقط على الأخطاء الإحصائية التي يمكن أن ترتكب أثناء جمع المعطيات وتقدير الأرقام ،فبالإضافة إلى ذلك فان كل بلد عربي يمتاز بخصوصيته ، فمنها من أصبح شبابه يفضل الالتحاق بصفوف الجيش اختصارا لطريق كسب العيش ،ومنها من يضطر للمهاجرة رغبة منه في تحسين أوضاعه ، ومنها من ينزح تحت وطأة ظروف سياسية وأخرى اقتصادية تكون سببا في عزوف الشباب عن مواصلة تعليمهم ، أو أنها كانت سببا في عدم التحاقهم بالمدارس وهم أطفال .

وينجر عن هذا الاختلاف تفاوت في قيمة الجهد المطلوب من كل بلد وآخر لولوج مجتمع المعرفة ،فالجهد المبذول لتوفير رأس المال المعرفي الكافي للولوج إلى مجتمع المعرفة في بلد كالسعودية لا يماثل نفس الجهد المبذول لبلد كليبيا.

وبالنظر إلى التحولات السياسية الجارية في العالم العربي ،فإن هذه الإحصائيات وهذه الآمال والنتائج لا بد أن تكون عرضة للتغيير نظرا لارتفاع عدد ضحايا الأزمات السياسية وكذا تشويه البنى التحتية ،فكل خطوة كانت ستغدوها تلك الدول نحو مجتمع المعرفة فإن الكوارث الأمنية التي لحقت بها سوف تؤخر مسيرتها خطوتين إلى الوراء.

هذا بالنسبة للتحليل الكمي لواقع رأس المال المعرفي العربي اللازم لولوج مجتمع المعرفة ولكن ما الذي يمكن قوله عن الجانب النوعي اللازم لذلك ؟

إن ما أصبح يوسم به الوضع التعليمي وما أصبح يتوفر من معطيات إحصائية إزاءه إنما يدل على تدني النوعية في مختلف الميادين وفي مجمل الدول العربية ،بالرغم من وجود بعض الفئات النخبوية المتميزة بنسب متفاوتة من دولة إلى أخرى.فبالرغم من أن الحصص المخصصة مثلا لتعليم مادة الرياضيات في التعليم الأساسي تضاهي ما تخصصه سائر الدول لهذه المادة التعليمية الأساسية لتكوين رأس المال المعرفي ،فان الطلبة العرب لا يبلون بلاء حسنا في الاختبارات الدولية التي تقيس مدى استيعابهم للمعارف الرياضية ،وكذلك الحال بالنسبة للتربية الرياضية ،فقلما يصل رياضيونا إلى المراتب الأولى في الألعاب الاولمبية أو غيرها.

فالحجم الساعي لكل مادة ليس هو المشكل إذا وإنما في المحتوى أو البرنامج وفي طريقة تقديمه،فالبرنامج السنوي أو المقرر التعليمي ولو كان يؤخذ عن دولة أخرى كتجربة ناجحة فانه يلقى الفشل وهذا مرده إلى الاختلاف الحاصل في البيئة الثقافية من جهة ،وكذا عدم الاهتمام بإحداث تكامل بين قطاع التربية والتعليم سواء من الأساسي أو الثانوي أو العالي ليتوافق مع حاجيات القطاعات الأخرى الاقتصادية منها والصناعية حتى يضمن استعمالا أمثل واستثمارا أنجع لمخرجات عمليات اكتساب المعرفة ،فهذا الضعف الخطير الذي يشكو منه التعليم في الوطن العربي كيفا يرجع إلى الضعف الذي يميز مضامينه التي تقوم على

التلقين بدل البحث ،وتعتمد على الذاكرة بدل الفهم ،والتسليم بدل النقد ،وهذا تعليم لا يستطيع أن ينتج عقولا تقدر على مواجهة تحديات الحاضر ومتطلبات المستقبل.وفي هذا الصدد يقول المرحوم الجابري :"إن تعليما لا ينتج عقولا قادرة على المساهمة في التقدم العلمي ،سواء تعلق الأمر بالعلوم البحتة أو العلوم الإنسانية أو بعلوم التراث لهو تعليم يعيد إنتاج نفسه بصورة رديئة ،وبالتالي يعيد إنتاج الوضع الثقافي السائد بصورة أردأ"[1]

فما أصبح يتطلبه إعداد رأس المال المعرفي اللازم لولوج مجتمع المعرفة هو :"إعادة هيكلة نظام تعليمنا على أساس اعتماد البحث العلمي أسلوبا للتدريس ،مع الاهتمام الزائد بالمواد العلمية وبقواعدها المنهجية وأسسها الفلسفية والمواد النظرية عامة ،وفي أسلوب تعليمها وطريقة التعامل معها لهي الشروط الضرورية للارتفاع بنظام تعليمنا إلى مستوى المهام التي يطرحها المستقبل "[2]

في حين يرى الدكتور نبيل علي * أن ما نحن بحاجة إليه هو ما نبّهنا إليه توماس كوهن في بنية الثورات العلمية "لا بد من براديم تربوي جديد يعلن القطيعة مع براديم تعليم عصر الصناعة القائم على ثنائية المنتج والمستهلك..معارف تتهالك ولا تتجدد ،ومهارات تتقادم ولا تستبدل "[3]

إلا انه تجدر الإشارة إلى أن كل خطة تتخذ في سبيل تغيير أو إصلاح أسسنا التربوية وسياساتنا التعليمية لا بد أن تراعي النقاط التالية :

1-أن الإنسان كائن فيزيائي وفزيولوجي وثقافي وتاريخي ،ونفسي لذلك لا بد للبرامج الدراسية أن تراعي هذه الخصائص حتى تضمن تشتيتا أقل للإدراك واستيعابا أوفى للمعارف.

1-الجابري محمد عابد ،إشكاليات الفكر العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط5 ،2005 ،ص72

2-المرجع والمكان نفسه.

*- مهندس مصري وخبير تكنولوجيا المعلومات واللغويات الحاسوبية

3-نبيل علي ،[مجتمع المعرفة كمحور للنهضة] ،المستقبل العربي ،عدد 342 ،اغسطس 2007 ،لبنان.ص98

2-تحقيق الوفاق بين أطوار التعليم من الأساسي إلى الثانوي إلى الجامعي ،حتى تحدث تكاملا فيما بينها ،فالهوة المتسعة عندنا حاليا بين برامج التعليم الثانوي وبرامج التعليم العالي أصبحت تستهلك جهدا أكبر من الطالب والأستاذ من أجل وضع اللبنات الأولى للشروع في الموسم الدراسي.

3-التوازن بين العناصر التربوية، فكثيرا ما نجد أن بعض التخصصات العلمية تلقى استحسانا أو سندا من الجهات الإدارية أو رؤساء الكليات ومديرو الجامعات على حساب تخصصات أخرى وهذا في مجمله ناجم عن تعارض في التوجهات و المصالح .

4-التغلب على آفة التلقي السلبي التي أصبحت تميز طلبة جامعاتنا وذلك عن طريق إدراك أن التعليم فعل ايجابي يدعمه التحدي وهو عمل مركب ينطلق من المعلم ويتمحور حول المتعلم حيث نكسب المعلم القدرة الذاتية على البحث والإبداع ولا نقيده ببرامج جاهزة حتى يساهم بدوره في إكساب المتعلم القدرة والرغبة في التعلم ذاتيا ومواصلة تعلمه طيلة العمر.

ب-الفلسفة والتفكير:

ورد في تقرير اليونسكو من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة أن:"تعليم التعلم يعني تعلم التفكير والشك ،والتأقلم بأسرع ما يمكن ،ومعرفة مساءلة التراث الثقافي مع احترام الإجماع ،هذه هي القاعدة التي سنرتكز عليها في مجتمع المعرفة "[1]

فما نحن مطالبين به حتى نغدو أفرادا فعّالين نؤسس ونساهم في بناء مجتمع المعرفة أن نتعلم التعلم ، أي أن نتعلم كيف نشك وكيف نفكر ،وكيف نسأل وكيف نحاور ونستفسر ،وهذه المسألة بالذات قد وجّهنا إليها من قبل الفيلسوف فريدريك نيتشه حينما قال :"يجب أن نتعلم أن نرى ،يجب أن نتعلم أن نفكر ،يجب أن نتعلم أن نتكلم وأن نكتب "[2]

1-تقرير الأمم المتحدة الإنمائي من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة 2005 ،ص64

2--نيتشه فريدريك ،أفول الأصنام ،تر حسان بورقية ومحمد الناجي ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 1 ،1996 ،ص ص/71-72

كما قال أيضا :" لا بد من تعلم التفكير مثلما يتعلّم الرقص "[1]

ولما كانت الفلسفة "تشجع التفكير في فروع المعرفة لأنها تتحمل عبء تعليم الجوانب الشاملة من التفكير التي تناسب أي فرع معرفي ،ولأنها نموذج لما يقصد أي فرع معرفي أن يفكر فيه ،وأن يكون نقديّا لمنهجيته الخاصة به "[2]

كما أنها (الفلسفة) تأخذ على عاتقها مهمة النظر بين فروع المعرفة المختلفة ،لأنها بذلك تكسر ضيق الأفق الملازم غالب الأمر للتخصصات العلمية الدقيقة ف "العقل الدقيق التخصص يعد لعنة الحياة الأكاديمية ،فنحن بحاجة إلى مذكّر متداخل المعرفة يذكّرنا بإصرار أن الفلسفة تزعم أنها تجعلنا نتحقق من أن ما يجري في الشقوق والتجاعيد القائمة بين فروع المعرفة لا يقل أهمية عمّا يجري ضمن فروع المعرفة ذاتها "[3]

لذلك وجب أن تمدنا الفلسفة بالوسائل اللازمة التي تعيننا على النظر والتأمل ،والتي تحثنا على التساؤل والشك والتي تدفعنا إلى البحث والتقصي والتفكير ،ولكن كيف السبيل إلى أن يكون فكرنا فكرا ناقدا متقدا متقصيا ؟ يجيبنا الدكتور الحسين الزاوي عن ذلك قائلا :"يبقى الفكر أكثر عمقا كلما كان أكثر قدرة على توثيق وشائج الصلة مع ذاته ،ليتحسس نتوءاته وخانات قوته وضعفه ،ويحارب نرجسيته ويزيح قناعاته التي تدافع عن نفسها بسرعة تتجاوز ما يستغرقه فعل تشكلها "[4]

فالفلسفة يمكنها أن تقوم بتقدم حقيقي في سبيل اقتناص المعرفة لأنها تفكير حول التفكير لأنها تدعونا إلى التفكر في عمليات التفكير التي نقوم بها ،أي أنها توضح أفكارنا وتزيل سوء فهمنا وفي هذا الشأن قال فتغشتين :" أن الفلسفة يجب أن تحدد ما يمكن التفكير فيه وبالتالي

1-المصدر السابق ص 73

2-ليبمان ماثيو،المدرسة وتربية الفكر ،تر د إبراهيم يحي الشيهابي ،منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،دمشق ،دون طبعة ،1998 ،ص395

3-المصدر السابق، ص 396

4- الحسين الزاوي ،[خطاب الفلسفة وتكامل المعرفة]،الفكر العربي المعاصر ،عدد 104-105 ،1998 ،لبنان ص47

ما لا يمكن التفكير فيه ،وكل ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق يمكن التفكير فيه بوضوح وكل ما يمكن أن يقال يمكن قوله بوضوح "[1]

فما الذي نعنيه بالتفكير ؟والتفكير في التفكير ؟وما الجدوى منه ؟وما أنواع التفكير الفلسفي التي يمكن أن تكون لنا سندا في البناء النهضوي الساعي إلى إقامة مجتمع المعرفة ؟

التفكير في التفكير :

التفكير سمة من السمات التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، وهو مفهوم تعددت أبعاده واختلفت حوله الآراء مما يعكس تعقد العقل البشري وتشعب عملياته، ويتم التفكير من خلال سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله من خلال واحدة أو أكثر من الحواس الخمس المعروفة ، ويتضمن التفكير البحث عن معنى ، ويتطلب التوصل إليه تأملاً وإمعان النظر في مكونات الموقف أو الخبرة التي يمر بها الفرد.ومن خلال التفكير يتعامل الإنسان مع الأشياء التي تحيط به في بيئته ، كما أنه في الوقت ذاته يعالج المواقف التي تواجهه بدون إجراء فعل ظاهري، فالتفكير سلوك يستخدم الأفكار والتمثيلات الرمزية للأشياء والأحداث غير الحاضرة أي التي يمكن تذكرها أو تصورها أو تخيلها.ويستخدم الإنسان عملية التفكير عندما يواجه سؤالا أو يشعر بوجود مشكلة تصادفه، والعلاقة بين التفكير والمشكلة متداخل ة حيث أنهما وجهان لعملة واحدة، فالتفكير لا يحدث إلاّ إذا كانت توجد مشكلة يشعر بها الفرد وتؤثر فيه وتحتاج إلى تقديم حل لها لاستكمال النقص أو إزالة التعارض والتناقض مما يؤدي في النهاية إلى غلق ما هو ناقص في الموقف وحل أو تسوية المشكلة.

والتفكير فريضة أرسى أسسها الإسلام ورسخ مهاراتها في عقول أبنائه، وديننا أعطى العقل والتفكير مساحة كبيرة من الاهتمام وعندما يخاطب القرآن الكريم الإنسان المسلم فإنه يركز على عقله ووعيه وتفكيره، ولأهمية التفكير للإنسان المسلم وردت كلمة تفكير أو مرادفاتها

3-فتغنشتين لدفيج ،رسالة منطقية فلسفية ،تر د عزمي إسلامي ،ملزمة الطبع والنشر ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة (دون طبعة) 1968 ،ص 92

(يتفكرون – يبصرون – يعقلون – يتذكرون.. إلخ) مرات عديدة في القرآن الكريم.

والعبارة الشهيرة التي قالها فرنسيس بيكون"المعرفة قوة" أصبحت تتجسد على أرض الواقع إذ تعزى القوة لحضارة مجتمع ما مقارنة بقدرة هذا المجتمع على إنتاج وتوليد المعارف وهذه القوة المكتسبة هي في واقع الأمر انبثاق عن حيوية وتجدد فكر ينبض بالحياة ، فالنمو النهضوي أصبح مرتبطا بالنمو الفلسفي ارتباطا أخيرا لما للعقل الفلسفي من قدرة خارقة على التفكير في الواقع ، في المعقول وفي اللامعقول ، كذلك فان التخلف الذي تشهده بعض مناطق العالم تعود أسبابه الأساسية إلى معضلة التفكير إذ يقول الدكتور نبيل علي في ذلك :"إن تدني حياتنا من تدني تفكيرنا "[1]

فما أحوج العالم العربي اليوم إلى أفراد يمتهنون التفكير لا لغاية سوى لأنه غاية في حد ذاته فالتفكير الجاد عمل شاق ،و أن كل ما شهدته الإنسانية من أزمات ونكبات مردّه إلى سوء استغلال هذا العقل في التفكير بطريقة جادة وفعالة مع ما تفرزه وتوفره الحضارات المتقدمة من تكنولوجيات ومعارف أصبحنا نعجز عن إيجاد السبل الملائمة للاستفادة منها ، فغرقنا في اكتساب التقنية وفي تكديس منتجات العالم الناهض المتقدم ظنّا منّا أن في ذلك لحقا بركب الحضارة ، وكان دليلنا إلى ذلك ما تحمله مشاريع التنمية الواهمة من وعود لا تساعد في حل أزمة العالم المتخلف ،بل بالعكس من ذلك أنها تساهم في تقدم وتطور عملية تخلفه ،
فلا خير في أمة تأكل ممّا لا تزرع ،وتلبس ما لم تصنع ،فلن تتحقق لنا النهضة ما دمنا ننظر إلى مخلفات نهضة شعوب أخرى على أنها الحل الوحيد للتخلص من حالة التخلف ،ونسينا أمرا هاما متعلقا بمستخدم هذه المخلّفات ،فلا يمكن أن نقيس مدى معرفة وقدرة شعب معين على التعامل مع الانترنت من خلال عدد الحواسيب فيه ،وإنما من عدد الذين يحسنون ويشعرون أنهم في حاجة لاستخدامه من أجل تسهيل تسيير أمورهم ،فالأمر إذن يتعلق بطريقة تفكيرنا ،في طريقة نظرنا إلى واقع أصبحنا ننبهر بما أنجزه ،فإذا كنا نفكر بطريقة

1-علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ،ج 2،سلسلة عالم المعرفة رقم 369،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،نوفمبر 2009 ،ص 12

جدية وفعالة في شراء سيارة فما المانع من أن نخصص نفس الجهد من التفكير في معرفة السبل الممكنة للاستثمار في استعمالها ،وما الجدوى من بناء وتشييد المحميات الطبيعية والمتنزهات ما لم نغرس في ذهن أفراد المجتمع الأهمية البالغة التي تكتسيها هذه الأخيرة في المحافظة على أشكال معينة من الحياة تساعد في تحسين ظروف حياتنا ،كذلك ما لم نكوّن لدى هؤلاء الأفراد ثقافة معينة تساعدهم في الحفاظ عليها واستغلالها الاستغلال المشروع والمفيد حيث أن "مشكلة التجهيز مرتبطة بقضية الإنسان والأفكار ،و أن المحصول الاجتماعي للآلات مرتبط بفعالية وسلوك الفرد الذي يستخدمها "[1]

حقيقة أن هذا العالم يزخر بأنفس المعادن الثمينة والتي تتمثل في جملة الفرص التي لا يمكن أن تأتي إلا مرة واحدة ،والأنفس والأغلى من ذلك هو العقل البشري الذي يحسن اقتناص هذه الفرص ،فهاهي المعارف تحيط بنا من كل صوب مع سهولة الولوج إليها واستخدامها ،وهاهي الطاقات البشرية تتكدس في مجتمعاتنا من دون أن نقدر قيمتها ولا حتى أن نجعلها تقدر قيمتها الحقيقية لهذه المجتمعات ، إنه "الهدر " هدر الوقت في غير المفيد وهدر المال بإنفاقه في غير خير أوجهه ،ولعلّ أهم أشكال الهدر وأخطرها "هدر الفكر "،فأي مجتمع يقوم معناه الحقيقي على نشاط أفكار أفراده وطاقاتهم الذهنية ،وحرمان الأفراد من هذه الأفكار والمشاريع الذاتية هو حرمان للمجتمع من صحته وكفاءته ، "على أن هدر الفكر والوعي والطاقات وما يتضمنه من فقدان مناعته ،يجعل المجتمع جثة هامدة ،وبالتالي عديم القدرة على مقاومة الاستبداد والعصبيات واستفحالهما"[2]

ولأن الفكر قائم منطقيا على التفكير من أجل وعي المجتمع والعالم وظواهرهما وبالتالي التأثير فيهما وفي واقعهما ،فإن الشلل الفكري سيؤدي إلى عدم وعي الإنسان لذاته ولا لمجتمعه ،وبالتالي فلا يمكن لمجتمع يكون أفراده عديمي التفكير أن يكون مسيطرا على

1-بن نبي مالك ،القضايا الكبرى ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،دار الفكر دمشق ،سوريا ط2،2000،ص54

2-دالحجازي مصطفى ،الإنسان المهدور ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط2 ،2006 ،ص163.

موارده وإمكانياته ومشاريعه ،إن إبقاء الإنسان في الحيز البيولوجي المحض من حاجاته

وحياته سيؤدي إلى تعطيل نسبة كبيرة من خلايا دماغه ولن يعمل دماغه إلا في أدنى مستوى له ،وهذا الجزء من الدماغ هو ما يسمى علميا "الهيبوتلاموس " وهو كتلة وسط الدماغ

لايزيد وزنها عن خمسة غرامات."والهيبو تلاموس هي التي تضبط وظائف الأكل والنوم والجنس والانفعال ..فكم من الناس ذوي التفكير المهدور تعطل طاقاتهم الدماغية ويحجر عليها ويدفعون للعيش على مستوى الهيبوتلاموس "[1]

إن مظاهر تأزم الأوضاع كثيرة ،ولا مخرج منها إلا بالشروع وعلى الفور في إعمال الفكر في التفكير بأقصى درجات الجدية ،ومن الأمور البديهية أن يكون العقل هو المدخل لتناول معضلة التفكير. إذ يضطلع العقل بالقيام بمهمات ثلاث هي :التفكير والشعور والسلوك،فمعرفتنا بشعورنا هي معرفة وطيدة ،وكذلك الحال بالنسبة لسلوكنا ،إلا أن معرفتنا عن تفكيرنا قد تتراوح بين الضعيف والقليل ،وهنا يكمن مربط الفرس فإذا كنا نعجز عن تصويب شعورنا والتحكم في أغلب الحال في سلوكاتنا خاصة اللاإرادية منها ،فإننا نملك زمام تفكيرنا إذ يسعنا تصويبه بالرغم من نقص إدراكنا له ،وفكرنا هو الكفيل بإزالة الستار عن مكامن شعورنا وعن دوافع سلوكاتنا ،ولا يمكن لذلك أن يحصل إلا إذا أمعنا التفكير في مسألة التفكير ،وهذا ما يحاول اجتنابه الكثير من الناس لأنه يضعهم وجها لوجه مع ذواتهم.

تأتي أهمية التفكير من الاعتقاد بأن عملية اكتساب المعرفة أو توليدها؛ والتحقق من دقتها هي عملية تفكير؛ لأن الفرد في أثناء تعامله مع العالم الطبيعي يجمع الأدلة ذات العلاقة، ويصنفها، ويفسرها، ويختبرها باستخدام عمليات العلم المختلفة، مثل: القياس والتجريب وضبط المتغيرات؛ سعياً للوصول إلى المعرفة وفهمها وتطبيقها في الحياة العملية، مما يكفل أن يكون المتعلم نشطاً، وأن تشكل المعرفة المكتسبة بهذه الطريقة أساساً قوياً لتعلّم جديد.وفكرة أن يمارس التفكير نشاطه على ذاته ليست بالمهمة السهلة أبدا حيث يرجع الدكتور نبيل علي صعوبتها إلى الأسباب التالية :

1-المرجع السابق ،ص167

1-**صعوبة إدراك الواقع :**فالعقل لا ينظر للواقع نظرة شاملة ملمّة وإنما يتخللها النقص

والضعف ،فالحواس لا يمكنها أن تنقل الصورة الأمينة أو الدقيقة عن كل ما يكتنه هذا العالم من مجريات أمور تتآلف أحيانا وتتصارع أحيانا أخرى ومن أزمات تستعر لتخمد تارة

أخرى ، كما أن عمل الذاكرة لا يمكن الوثوق فيه لفترة زمنية طويلة لأنها تصبح بعد برهة من الزمن عرضة للنسيان والى قلب الحقائق وخلطها "فقد أثبتت الدراسات أنها كليات فاعل منفعل يمكن أن يعيد صياغة ما في حوزته ، يضيف ويضفي عليه ،و أن ينفعل بما تثيره فيه الكلمات والمواقف فضلا عمّا ينجم عن نزعات الحنين للماضي من تحريف للذكريات وتعديلها"[1]

2-إهمال معرفة الأداء:فقد عوّد العقل الإنساني على تخزين الحقائق وكأنه موسوعة تقتصر مهمتها على استرجاع المعلومات.وتذكرها ،فصار من أشكال هدر الفكر ما نلاحظه لدى فئة من الطلبة تتلقن العلوم والمعارف بشكل ببغائي دون الأخذ بعين الاعتبار ماهية المعرفة التي غالبا ما تحمل في ثناياها ألغام فكر يعمل على التصديع والتشتيت لا على الإيضاح والتجميع.فتنقل تلك المعارف بغثها وسمينها إلى عقولهم دون إعمال روح النقد والشك فيها."على أن الهدر الفكري والمعرفي يشكل حالة عامة في بلاد الهدر وأنظمته ،،وتكفي الإشارة إلى أن العالم العربي يقع دون خط الفقر المعرفي ليس فقط في البحث العلمي والنشر والتوزيع ،بل كذلك في الصحافة ومدى انتشار الحاسوب واستخدام الانترنت وهي راهنا من المؤشرات الأساسية لقيام مجتمع المعرفة "[2]

إن هذا التركيز الذي ينصب على الجانب المعرفي للعلم، بما فيه من حفظ للحقائق والقوانين، والمعالجات الرياضية البحتة، مع إهمال لمهارات التفكير ولأساليب تنميتها، وفي المقابل يبتعد الفكر في حركيته عن معرفة الأداء ، أي عن المعرفة التي يشغلها الإنسان في

1-علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ، ج2،مرجع سابق ص9

2-د مصطفى الحجازي ،الإنسان المهدور ،ص179

حل المشكلات واتخاذ القرارات قصد التصرف بحكمة ورشد إزاء ما يعترضه من عقبات

ومواقف. "فبإهمالنا هذه المعرفة الفاعلة حرمنا من أن نراقب تفكيرنا وهو يعمل وهو ينجز ويبطل ويمهل ويهمل ،ويصيب ويخفق "[1] فاتسعت بذلك الهوة بين ما نتعلمه ونعلمه وبين ما يجري حقيقة على أرض الواقع.

3-عدم وفرة الوسائل العملية : فلأغلب ما قيل عن التفكير لا يتعدى كونه حبيس فلكلور سيكولوجي يحتاج دعم الاختبارات العلمية حتى تؤيد وترصد مظاهره ،ويعقد الأمل على تكنولوجيا المعلومات والاتصال حتى تثبت صحة التنبؤات التي وصلت إليها تلك الأبحاث وحتى تساهم أيضا في توفير الوسائل اللازمة لذلك.ولكن هل ستكون تكنولوجيا المعلومات والاتصال هي المخرج للنفاذ من أزمة التفكير الحالية؟ خاصة وأنها تمكننا من التعامل المباشر مع زخم المعلومات والمعارف ؟ ،حقيقة إننا نجد أن هذه الأخيرة أصبحت سلاحا ذا حدين فإذا كنّا عاجزين عن إعمال الفكر والنظر فيما يتوفر لدينا من معلومات ومعارف فكيف لنا أن نحسن التعامل مع ما لا نملك ؟هذا من جهة ،ومن جهة أخرى تتأكد لنا يوما بعد يوم أن ما تنقله وسائل الإعلام قد يبتعد في كثير من الأحيان عن حقيقة الواقع ،فيقلب بإيديولوجيته الواقع ويغير الحقائق وبالتالي يضمن عدم يقينية معارفنا أو أنّه يسقطنا مرة أخرى في الهوة المتسعة والتي أسالت الكثير من الحبر ،هوة انفصال الفكر بكل ما يحمله من معارف وأفكار عن الواقع المعاش.من هنا فإن اللحظة الحاسمة قد حانت حتى نعمل التفكير في تفكيرنا ،حتى تتبين لنا أفضل السبل لتنميته وترشيد استغلاله.فما أكثر مظاهر التخلف التي نعت بها الفكر العربي ،من الضحل إلى الأحادي إلى غير المنهجي ،حتى صار البعض يقتل بصيص الأمل في إمكانية إصلاح التفكير العربي .

إن الفكر النهضوي ظلّ لفترات بعيدة أسير أزمة التبعية سواء للآخر وهو النموذج المتقدم وما يمثله حاضره من علامات رقي وتمدن ، أو الماضي المجيد الذي عاشه في فترة ازدهار ،فكانت جل المشاريع النهضوية ترسم هدفا منشودا وتعمل عليه إلا أنها

1-علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ج2،ص9

كانت تفقد وسائل تحقيق غايتها في طريقها "فالذي يحيد عن التراث يكون عرضة للاستثناء والذي يلتزم به يصير عبدا له ،والمرء في كلتا الحالتين يمضي إلى هلاكه" [1].

وذلك بالأخذ بعين الاعتبار أن التراث المقصود هنا هو تراث البشرية جمعاء سواء تعلق الأمر بماضينا أو بحاضر الآخر فـإنّه في مرحلة زمنية ما يغدو كله تراثا خلفته وجمعته العقول لذلك أصبحت مهمة النظر في التفكير أو التفكير في التفكير منوطة بنقطتين أساسيتين وهما"تحديد موقفنا من فكرنا ومن فكر غيرنا "[2]

أ-**موقفنا من تفكيرنا :** لن يتطور فكرنا إلا عن طريق السجال الدائم معه ، فهو وحده الكفيل بجعله يسائل نفسه وينقد المعرفة التي يستند إليها ،وقد قالها نيتشه يوما وجعلها دعوة صريحة منه إلينا إلى النظر في حالنا حتى نستطيع انطلاقا منه التقدم إلى مرحلة أخرى نستفيد فيها من تجارب الماضي "عد أدراجك ،تقفّ الآثار التي وصمت بها الإنسانية رحلتها الكبيرة والشاقة عبر بيداء الماضي ،هكذا وبشكل أكيد ستعلم الاتجاه الذي ستنزع فيه بكل قواك إلى أن تتبين عن طريق الاستباق كيف تنعقد عقدة المستقبل فان حياتك ستكتسب من ذلك قيمة أداة المعرفة ووسيلتها ، إنك تملك سلطة أن تجعل حياتك من محاولات ،أخطاء وزلاّت ،أهواء ، حبك وأملك أن تجعلها تنسجم تماما مع الهدف الذي رسمته لحياتك" [3]

إن هذا الاتصال الدائم بفكر الذات المفكرة يجعلها تمارس عمليات الحفر العميقة في قلب إشكالاته واستفهاما ته المستمرة الهادفة إلى صقله والتخلص من كل ما من شأنه أن يبقى حجرة عثرة في طريق نهضته إذ أن "جديد الفكر وإبداعيته يمر عبر محاولات الإزاحة والتجاوز ،أكثر مما يتم عبر خلق شيء جديد فلا إمكانية لانبثاق المغاير في كنف هيمنة العتيق والمتكلس ،إن بطولة الفكر وشجاعة الفلسفة تتمثل في الارتفاع فوق التقليديات

1--نيتشه فريدريك ،إنسان مفرط في إنسانيته ،تعر محمد الناجي ،إفريقيا الشرق 19985دون طبعة) ،ص160

2- علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ج2،ص12

3-نيتشه فريدريك ،إنسان مفرط في إنسانيته ،ص160

الكليانية التي تدعي التهام وامتصاص الذات الشخصية لتأخذ كفكر أصيل شبه فكر لا لا شخصي وغوغائي"[1]

ولن تستكمل دراسة تفكيرنا الهدف منها إلا إذا استندت إلى دراسات أخرى مستفيضة ومتعمقة عن علاقة فكرنا بلغتنا فاللغة حمالة أوجه، وبالنظر إلى جملة مشكلاتنا في التفكير فقد نجد أن أغلبها علل لغوية.

ب-موقفنا من فكر غيرنا : كثيرا ما يتراوح موقفنا من فكر غيرنا بين الرفض القاطع أو الاستسلام ،فلماذا أصبحنا نتوه بين هذين الاختيارين إما الصراع وإما الاستسلام لفكر الغير؟ يظهر هذا جليا في الموقف من الحداثة والبنيوية والتفكيكية .

فهل الإعراض عن تناول فكر الآخر بالدراسة سيمكننا من تشييد الصرح العظيم الذي نحمي من خلاله هويتنا وقيمنا ، أم أنّه على العكس من ذلك سيفوّت علينا فرصة الاستفادة ممّا عند الآخر وما توصل إليه ؟ فبدلا من أن نعيد اجترار ما سبق أن فكّكه وحلّله فإننا ننطلق منه انطلاقة تخوّلنا أن نتصدر قائمة البحث الجاد والمنتج عن الأفكار الخلاّقة.

"فإذا كانت العزلة هي للشعور بالضعف فالانفتاح ثمرة للشعور بالقوة والعزة ،فمن شعر بالضعف توارى واختلق كل المعاذير التي تبرّر له أن ينطوي على نفسه ،وسيملك كل يوم عذرا ،والعذر القادم أقوى من سابقه ،وإن العلاقة بالعالم ليست خسارة إلا للمفلس من الأفكار والأخلاق والمعرفة والمغامرة أو للمضطربين والقانطين واليائسين ،كما أن أسلحة المعلومات هي مستويات تساعد الأمم الصغيرة ضد الكبيرة وتنحاز إلى المدافع ضد الغازي"[2]

وكثيرا ما يكون الإعراض عن فكر الآخر أو التفكير فيه بسبب العجز عن استيعاب الأسس الفلسفية والفكرية والعلمية التي تقوم عليها ،أو لكونها تخالف في بعض توجهاتها

1-الحسين الزاوي ،[خطاب الفلسفة وتكامل المعرفة] ،مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد 104-1999،105لبنان ص47

2-العرابي فهد ،المعرفة قوة والحرية أيضا ،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت لبنان ،ط1 ،2010 ،ص 351

أمورا تتعلق بأصولنا وعقائدنا وكأننا نخشى أن هذا التجادل مع فكر الغير سوف يسقط أسوار

مدننا ويشل عقولنا عن التفكير ،بل ربما أكسب فكرنا المناعة والمتانة الجدلية.وعليه فنحن في حاجة إلى :" إعادة بناء وترميم تصوراتنا حول مستقبل العالم وحول مستقبلنا فيه ، إن النظر في مثل هذه المسألة الشائكة من خلال الأنساق المعرفية والمنهجية التقليدية لن يؤدي

إلى أي نتيجة مفيدة فينبغي البدء بامتلاك الأدوات اللازمة التي تساعد على تفكيك بنية المجتمع الجديد المعقدة ،ثم الشروع في الاستحواذ على الذرائع الموصلة إلى ما هو بالضرورة حقّنا في المواكبة والاكتشاف "[1].

فلو انطلقنا من هذه النقطة بالذات فإننا سنتخلص من مركب النقص الذي يقيّدنا كلما ذكر الآخر أو برز بتقدمه المتواصل ،فطريق النهضة يتسع للجميع ،وكل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع ،فلا مجال لهدر طاقاتنا أو كبحها فمخزون العالم من المعرفة حق يستحقه الجميع وذلك لمجرد أنهم رزقوا موهبة التفكير .

وإذا كانت هذه هي القيمة المهمة التي يكتسيها تعلم التفكير في تغيير فعالية وجودة عمل العقول البشرية ،فان الكثير من المساعي أصبحت تدعو إلى ضرورة إدخال تعليم التفكير في المناهج الدراسية ،بالرغم من أن بعض المزاعم تثبط من عزيمة الساعي لذلك بدعوى أن التفكير لا يمكن تعلمه. إلا أن تعليم الأفراد كيف يفكرون ليست أبدا بالمهمة السهلة ،فهي بحق من أخطر المهام التربوية وأهمها على الإطلاق لأنها تهدف إلى خلق وتكوين أفراد يعرفون كيف يتعاملون مع الأحداث والتطورات وكيف يتعاملون مع الناس الآخرين ومع كل ما يحيط بهم فتعليم التفكير "يولد رجالا ونساء يشعون نورا ويفجرون حركة وطاقة ،وقادرين على البناء والعطاء وعلى إحداث التفاعل الحضاري بين شعوب الأرض وأممها "[2]

1-المرجع السابق، ص351

2-ليبمان ماثيو ،المدرسة وتربية الفكر ،ص4

وهذا ما أصبح يتطلبه مجتمع المعرفة أفراد يتميزون بالمرونة العقلية والقدرة على الانسجام والتجاوب مع كافة المتغيرات .

ولجعل هؤلاء الأفراد أقدر على التفكير والمحاكمة المنطقية ،وأكثر حصافة فقد أوصى المنظّر التربوي ماثيو ليبمان بضرورة تحويل غرف الصف إلى مجتمع للتقصي ،وذلك عن طريق إعادة صياغة النظام المعرفي الفلسفي بحيث يقدم مفهومات وقيم تساهم في إثراء عملية التعليم ،وذلك لن يتسن بلوغه إلا إذا "حولت الفلسفة الأكاديمية التقليدية إلى نظام معرفي يقدم نموذجا من التفكير الأعلى وثبة ويعرض صورة لما يمكن أن تكون عليه التربية "(1)

فما الذي نقصده بالتفكير الأعلى وثبة ؟ وما أقسامه ؟ وما هي القيم التي يقدمها هذا النوع من التفكير والتي تساهم في البناء الساعي لإقامة مجتمع المعرفة ؟ وكيف تساهم الفلسفة في تنمية تفكيرنا حتى نستطيع أن نفكر تفكيرا أعلى ؟

1-المرجع السابق ،ص 5

المبحث الثاني:

الفلسفة وتنمية التفكير

الفلسفة وتنمية التفكير :

لم يعد دور التربية يقتصر على نقل التراث الحضاري من جيل إلى آخر، أو على تعليم أنماط التفكير فحسب، بل تعداه إلى مجال تنمية أنماطه المختلفة، فأصبح الاهتمام منصباً على تعليم التفكير لا التعليم عن التفكير.

ولعل الاهتمام بتنمية التفكير يعود إلى التراجع المستمر في مستوى مخرجات التعليم العام والعالي، وفي تدني مهارات الخريجين من الجامعات المختلفة بمستوى لا يتناسب واحتياجات سوق العمل، ولا يلبي متطلبات خطط التنمية الحديثة.

ومهما تباينت النظرة إلى مفهوم التفكير فإنه يظل نشاطاً عقلياً أساسياً للفرد في تنظيم أفكاره، وحل المشكلات التي تواجهه بأسلوب منهجي، وفي تطوير مهاراته في اتخاذ القرارات التي أصبحت تشكل أحد الأهداف الرئيسة للتربية في الوقت الحاضر.من هنا نصل إلى نقطة مفادها أن التفكير عملية قابلة للتعلم ،"فتعليم بلا تفكير جهد ضائع ،وتفكير بلا تعليم أمر محفوف بالمخاطر"[1]

فالقوة التي تنسب إلى المعرفة تنبع من قوة التفكير في حد ذاته ،إذ أصبح التفكير الجيد أي الأعلى رتبة أشد أسلحة هذه القوة ضراوة في حين أن التفكير الرديء يشكل خطرا يتهدد هذه القوة بالزوال والتلاشي ،لذا فقد أصبحت تنمية التفكير الجيد أهم أهداف المؤسسات التربوية والعلمية ،وأحد المطالب الأساسية التي تسعى إلى تحصيلها في جميع مراحل التدريس من رياض الأطفال إلى تعليم الكبار ،وصولا إلى تعميم فكرة التعلم مدى الحياة.

ولذلك فقد ارتبطت مسالة التفكير في التفكير بعلاقته بالمحتوى التعليمي خاصة لما يحمله من أفكار وما يمكن أن يثيره من إشكالات ،فأصبح التركيز ليس في الشيء المفكر فيه وإنما في الطريقة التي يتم فيها التفكير ،وقد قيل قديما لا تعطيني السمك ولكن علمني كيف اصطاده.

كما قيل أيضا :إذا لم تستطع أن تعلمني التفكير ،فوفّر لي الجو المناسب حتى استطيع أن أفكر بنفسي.

1-علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ،ج2 ص13

ولتحقيق ذلك، حدثت تغيّرات جذرية في المناهج وفي أساليب تدريسها، شملت الأهداف واستجابة لذلك فقد أكدت المساقات الحديثة التي ظهرت خلال الستينيات من القرن الماضي على تعلم طرق الاستفسار باعتبارها من المهارات الأساسية للتفكير للمتعلمين ،والمحتوى وأساليب التدريس والتقويم، ورافق هذا التغيير تركيز واضح على تنمية مهارات التفكير باعتبارها أحد الأهداف الرئيسة للتدريس في مختلف المراحل التعليمية، تمثل ذلك بنصوص صريحة وردت في مشاريع تلك المناهج، وقد بدأ هذا الاهتمام في الولايات المتحدة الأمريكية، وامتد بعد ذلك إلى بقية دول العالم.

ولم تكن مناهج العلوم في النظم التربوية العربية بمنأى عن التأثر بهذا التغيير؛ فقد بدأت المناهج في هذه النظم تولي التفكير اهتماماً كبيراً لإعدادهم إعداداً يؤهلهم لمسايرة متطلبات القرن الحادي والعشرين وتحدياته وما يحوطه من تطورات علمية وتكنولوجية هائلة يصعب على الإنسان العادي مواكبتها.

إن تنمية التفكير تتطلب من مختلف المؤسسات التعليمية، وبخاصة مؤسسات التعليم العالي أن توجه برامجها واهتمامها نحو تنمية المهارات العقلية لطلبتها، بما فيها مهارات التفكير المختلفة، ولكن هل يمكن أن يتحقق هذا ؟

إذا كان أملنا بتحقق هذا المطلب على أرض الواقع فلِنه ليقيننا الجازم من أننا إذا كنا نستشف أهمية التفكير في تغيير واقعنا من المتدني إلى الأحسن فانه من الواجب علينا بذل مجهود أكبر في محاولة فهم عمليات التفكير وكيف تتم .فما هو التفكير الأعلى رتبة ،وما أقسامه ؟وكيف تساهم كل منها في تنمية مهارات الإنسان لتسهيل ولوجه مجتمع المعرفة ؟

إن التفكير الجيد أو ما يشار إليه بالتفكير الأعلى رتبة هو "التفكير الذي يجمع فيما بين مكونيه :التفكير النقدي والتفكير الإبداعي "[1]

هذا من جهة ومن جهة ثانية فانه أي التفكير الأعلى باعتباره إحدى المهارات الإنسانية فانه أصبح يضم ثلاثة أقسام من التفكير بدل أن تكون قسمين ،فبالإضافة إلى التفكير النقدي والإبداعي أصبح هناك أيضا التفكير التقويمي الذي يقوم أساسا على المحاكمة العقلية أو

1-ليبمان ماثيو ،المدرسة وتربية الفكر ،ص78

المحاكمة المنطقية."هناك هرم من تسلسل المهارات يأتي في قمته التحليل والتركيب والتقويم فإذا ما عني الآن بالتحليل "التفكير النقدي "،وبالتركيب "التفكير الإبداعي " وبالتقويم "المحاكمة العقلية "،فإنه يمكن تسمية هذه العناصر الثلاثة بمكونات التفكير عالي الرتبة "[1]

1-المحاكمة العقلية :

إن مهمة تدريس الفلسفة تنشأ من الرغبة في حث فكر المبتدئ أن يفكر لكي يفهم ،كما تعمل على غرس الحس النقدي فيه ،فلا يقبل مسألة من المسائل ويسلم بها أو يرفضها إلا ببرهان واضح ، وما يجب على دارس الفلسفة أن يعيه هو أن اختلاف الآراء والمذاهب الفلسفية وكذا عرض أفكار الفلاسفة وتوجهاتهم حينما يوضع في المقررات الدراسية ليس بهدف وضع الحقيقة في ايطار معين ،وبأن فيلسوفا ما من فترة معينة قد جمعت الحقيقة بأكملها في زمنه وفكره ،فالحقيقة لا يمكن تملكها ولم تملك يوما لأحد من الماضي ولا من الحاضر : كما لم يقل أحد فيها الكلمة الأخيرة.

كما أن الهدف من دراسة تاريخ الفلسفة إنما ينشأ من الغاية الساعية إلى تحكيم العقل في مختلف النظريات المعروضة ،وذلك بالتأمل فيها ،فالتأمل هو الخطوة الأولى لتسيير اكتساب المحاكمة العقلية مثل التعليل السليم ،والمقدرة على ملاحظة الفروق بين الأشياء التي تبدو متماثلة ومتشابهة ،وحتى بين الأشياء المختلفة ،وذلك قصد تكوين نظرة شاملة حول المسألة أو الموضوع الذي نظر فيه. ف"دراسة الفلسفة منهجيا تهدف إلى إكساب الدارس معرفة بلغة الفلسفة حتى يمكنه فهم الفلسفة والتعبير بها"[2]

ولما كان الهدف الأسمى للناظر والمتأمل هو تحصيل المعرفة أو اكتسابها فان :"تميز الشكل الفلسفي عن أشكال المعرفة يكمن في النمط التأملي للتفكير ،حيث المعرفة تتكون بواسطة استنباط منطقي ،وبواسطة استنتاجات مستمدة من تحليل أفكار ومفاهيم الحياة اليومية ،وبواسطة إيضاح معاني الكلمات وما إلى ذلك "[3]

لذلك فقد سعت الفلسفة للاستعانة بالمنطق من أجل تحسين الدور الذي يقوم به العقل وهو

1-المصدر السابق ص78

2- د بودبوس رجب ، تبسيط الفلسفة ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ليبيا ،ط1 ،1996 ،ص 55

3-اويزرمان ثيودور ،تطور الفكر الفلسفي ،تر سمير كرم ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،ط4 ،1988 ،ص76

يحاكم وينظر في مختلف القضايا.

فالمنطق "لا يعلمنا كيف نفكر ولا ماذا نعمل عند التفكير فحسب ،بل يعلمنا كيف ينبغي ان نفكر ،فهو يحلل التفكير الصحيح ،وما نعمله للوصول إلى نتائج صحيحة ،وكيف نقيم هذه النتائج وعلى أي أساس ،كما يرينا خطا الفكر عندما ينحرف عن قواعد الفكر الصحيح "(1)

وإذا كنا نفكر فان هدفنا ليس الوصول إلى نتيجة صحيحة فحسب ،وإنما لا بد أن نتعلم أن نفكر كيف يمكن أن نصل إليها من أقرب الطرق وأدقها ،وإذا كنا نسعى للوصول إلى أحكام مقبولة عند غيرنا كما هي مقبولة عندنا ،فلا بد لنا من استكشاف العلل والأسباب التي نتبين منها أوجه صواب الحكم أو خطئه ،فنقارن الأحكام بعضها ببعض ،وننظر في العلاقات التي بينها مبتدئين من المقدمات ومنتهين إلى النتائج .

وإذا كنا نستخلص حقيقة من حقيقة أخرى فان ذلك يسمى استنتاجا، ولكي يكون ذلك الاستنتاج صحيحا لا بد من مراعاة السير وفق القوانين التي تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ وهي:

1-قانون الذاتية:ويعني أن كل شيء هو هو أي كل شيء هو نفسه..

2-قانون التناقض:ويعني أن الشيء لا يمكن أن يكون هو ونقيضه في نفس الوقت .

3-قانون الامتناع:ويعني أن الشيء إما أن يكون أو لا يكون: ويسمى أيضا الوسط المرفوع.

ونظرا لأهمية المهارات التركيبية والمنطقية في عملية التفكير السليم فان البعض أصبح يلح على ضرورة اكتسابها قبل المرحلة الابتدائية من التعليم أي في رياض الأطفال.

"إذا ما اكتسبت المهارات التركيبية المنطقية اكتسابا سليما قبل روضة الأطفال فان ذلك سوف يخدمنا طيلة حياتنا ،لأن مجموعة الكفاءات هذه هي المنصة أو القاعدة التي تقام عليها حيواتنا كمخلوقات عاقلة "(2)

فبالرغم من أن المخزون الأساسي لمهارات المحاكمة المنطقية لدى البالغ سيظل نسبيا دون تغيير عما كان عليه لدى الطفل ،فمثلا نجد أن استعمال الطفل الصغير للأحرف من أجل

1-بودبوس رجب ،تبسيط الفلسفة ،ص/ص 86-87

2--ليبمان ماثيو ،المدرسة وتربية الفكر ،ص45

تشكيل جمل مفيدة وهو يتعلم التكلم لا يختلف عن جملة الوسائل التي يستعملها البالغ فكلاهما يستعمل الحروف الستة والعشرين إلا أن عدد الكلمات يزداد.وهذا التزايد لن يلاحظ إلا بعد اكتساب خبرة أو مهارة تساهم هذه الخبرة في تنمية مهارات الفرد كما أنها تزيد من سعة معرفته "فمعرفتنا قائمة على خبرتنا للعالم ،وبفضل المحاكمة المنطقية نوسع تلك المعرفة وندافع عنها "[1]

2-التفكير النقدي :

يعد التفكير النقدي من المسائل الفكرية التي بدأ المفكرون وعلماء النفس يولونها اهتماماً كبيراً في العقود الأخيرة، وذلك باعتباره أحد المفاتيح الهامة لضمان التطور المعرفي الفعال الذي يسمح للفرد باستخدام أقصى طاقاته العقلية للتفاعل بشكل ايجابي مع بيئته، ومواجهة ظروف الحياة التي تتشابك فيها المصالح وتزداد المطالب.

ومن التعاريف الهامة وأكثرها تجريدا وتقييما يورد الدكتور نبيل علي تعريفا يضبط التفكير النقدي في كونه:"يقوم على تنمية الوعي المعرفي بتسليط الفكر على التفكير ذاته ،والتعرف على استراتيجياته وأنماطه وكيفية تمثيل المعارف التي تغذى عليها أو تتولد عنها ،إن التفكير في التفكير يكسب الفكر قدرة على التوجيه الذاتي الذي يضم في إهابه سلسلة من القدرات الذاتية من قبيل الانضباط الذاتي والتصويب الذاتي والرقابة الذاتية وهو ما يضمن الارتقاء بمستوى التفكير بصورة مثابرة ومطردة"[1] فالنقد الذاتي مهم في مسيرة ونهوض أي مجتمع كان ، ذلك أنه يسمح للذات الفردية أو المجتمعية بالتعامل مع نفسها بطريقة جديدة تمارس من خلالها حرية التفكير والخلق والإنتاج.

وكون النقد هو حفر وتفكيك أو تعرية وكشف لا يعني أنه عبث وتخريب ،"إنه تفكيك غرضه إعادة البناء والإنتاج،وهو تشريح هدفه إخراج الذات من عجزها وجعلها قادرة على التأثير في مجرى الأحداث والأفكار ،ووجه العجز ه‍و عدم القدرة على معالجة المشكلات أو الإيفاء

1-المصدر السابق ،ص46

2-علي نبيل ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ،ج 2 ،ص77

بالمتطلبات التي يمليها إيقاع الحياة المعاصرة وتحولاتها "[1]

ومهارات التفكير النقدي مهارات يحتاج إليها كل فرد ، ولقد أظهرت معظم الدراسات التجريبية والتي تم من خلالها استخدام برامج وخبرات لتنمية مهارات هذا النوع من التفكير، أن هذه المهارات تعود بالفائدة على المتعلمين حيث وجد أنها تؤدي فهم ا أعمق للمحتوى المعرفي المتعلم "فقوة التفكير تقاس بالقدرة على ابتكاره ،فلا تتهم أمة بالعجز عن التفكير إذا استطاعت أن تفهم مبتكرات الفكر في أمة أخرى ،وشعرت بالحاجة إلى فهمها وخلقت لها جوا تروج فيه وتشغل به أذهان أبنائها ،وخاصة إذا علمنا أن الابتكار المحض لم يكتب قط لأمة من الأمم ، ولم يظهر في ثقافة قومية أنها كانت محض ابتكار خلت مت كل استعارة واقتباس "[2]

فهذه المهارات تقود المتعلم إلى الاستقلالية في التفكير ،وتحرره من التبعية والتمحور حول الذات و تشجع روح التساؤل والبحث وعدم التسليم بالحقائق دون تحر كاف.

ضف إلى ذلك أنها تجعل من الخبرات المدرسية والحياتية ذات معنى ،وتعزز من سعي المتعلم لتطبيقها وممارستها ،فتوفع من المستوى التحصيلي للمتعلم وتجعله أكثر ايجابية وتفاعلا ومشاركة في عملية التفكير.

كما تعزز من قدرة المتعلم على تلمس الحلول لمشكلاته واتخاذ القرارات المناسبةبشأنها.

وتزيد من ثقة المتعلم في نفسه وترفع من مستوى تقديره لذاته ،كما تتيح له فرص النمو والتطور والإبداع.

وباختصار يمكن القول بأن تنمية مهارات التعليم الناقد باتت مهمة وضرورية في عالمنا هذا السريع التغير، لأنها تساعد على المشاركة الفعالة في المجتمع، وتكسب المتعلمين التجارب المختلفة التي تعدّهم للتكيف مع مقتضيات الحياة الآنية وتهيؤهم للنجاح في المستقبل، وإذا كان التعليم يهدف إلى إعداد مواطنين لديهم القدرة على اتخاذ القرارات

1-حرب علي ،أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط1 ،1994 ،ص182

2-الملطاوي حسن ،فلسفة التقدم عند العقاد ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1 ،1996 ،ص208

واختيار ما يريدون بناء على حقهم في الاختيار الحر، فإن هذا يستدعي من التربويين الاهتمام بتنمية هذا النوع من التفكير.

ومن الأسباب التي تجعل هذا النوع من التفكير ضروريا في الوقت الحالي خاصة لمجتمع كالمجتمع العربي هي كونه يساهم بطريقة فعالة في توضيح معالم النهضة المرجوة إذ يصل بعد كل عملية نقد ذاتي أن تكتشف هذه الذات وتنفتح على خباياها ومكامن قوتها وضعفها ،وإذا عرف موضع الزلل زال .

وكل إعراض عن هذه المهمة إنما يساهم في تأخيرنا خطوة إلى الوراء "لن يكون لنا نهوض إلا بممارسة النقد ومحاسبة النفس ،والتنصل من هذه المهمة ،مهمة النقد والمحاسبة لا معنى له سوى أننا نتعامل مع ذواتنا ونقدم أنفسنا للعالم بوصفنا غير مسؤولين عن ضعفنا ،وفشلنا أي بوصفنا عاجزين عن الفعل والتدبير ،ومن ش أن هذا أن يعطي المبرر للغير كي يحكمه ويسوسه "[1] وبالرغم من أهمية التفكير النقدي في مسيرة نهوض وارتقاء مجتمعاتنا إلا أن هناك جملة من العوائق التي يسهل التعاطي معها والوقوع فيها ،والتي منها:

الهجوم الشخصي :إذ يلجؤ الناقد إلى مهاجمة الشخص دون أن يحاول تفنيد أو البرهنة على

خطئ ما يدّعيه ،فينصرف بذلك عن جوهر عملية النقد الذي هو التجديد والتوليد والتنقيح إلى التشتيت والقتل ،فهذه التصرفات ليست تفعل شيئا سوى أنها تقتل الأفكار في مهدها.وكثيرا ما تتردد هذه الممارسات مع القدماء من المفكرين ،والتي تمسي بطريقة محرجة إلى إساءة التعامل مع ما خلّفوه من تراث يمثل مجهود عقل أحب واشتغل في التفكير فيما يحب "فليس المقصود بالنقد أن ننتقد طرائق القدماء في التفكير ،بل أن ننتقد طرائقنا نحن كما تتجلى في مواقفنا منهم وفي كيفية تعاملنا مع نصوصهم وأفكارهم ،فالقدماء فكروا وأنتجوا وتعدّ

إسهاماتهم في هذا المجال إمكانا للتفكير شرط أن نحسن مساءلتها وقراءة ما لم يقرأ فيها، أما إسهاماتنا نحن فهي موضع الجدال وهي التي ينبغي أن تنتقد ،فنحن على ما يبدو لا نمارس

1-حرب علي ،أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر،ص180

تفكيرنا بصورة خلاقة ومن ثم نحمل القدامى مسؤولية هذا القصور "[1]

3-التفكير الإبداعي:

أو التفكير الخلاق ،إذ كثيرا ما يخلط الناس بينه وبين الموهبة الخلاقة التي يمنحها الخالق لفئة معينة من مخلوقاته ،فتخلق بذلك فجوة بين الأفراد العاديين وبين ذوي الموهبة الخلاقة لا يمكن عبورها ولا حتى الوصول إليها ،في حين يعتبر البعض الآخر التفكير الخلاق تمرّدا وعصيانا أو حتى جنونا لا لسبب سوى لأنه خرج عن المعتاد وعن المألوف ،في حين أن هذه الملكة ما هي إلا "وليدة لحظة توهج للعقل ،وما على المبدع إلا أن ينتظر حدوثها ،ومن ثم فهو ظاهرة سحرية صنيعة جموح الفكر وشطح الخيال ،لا يمكن أن يدين إلى التناول العلمي ما يجعله غير قابل للتعليم "[2].

إلا أن ما نسعى إلى تحليله وتفكيكه من وجهة التعليم الهادف والتعلم الذاتي نجد أنه يقوم على قدرات ذهنية متوافرة لدى جميع البشر ،فالعقل هبة قسمت بين البشر بالتساوي إلا أن هناك أشخاصا يفجرون الطاقات الكامنة التي يحويها هذا العقل ويحسنون توجيهها ،في حين تهملها فئات أخرى فتضمر مثلما يضمر العضو الذي توقف عن الحركة ،وقد تسيء استعمالها فئة أخرى فبدلا من أن تحقق بها نتائج حميدة تصير إلى استخدامها في غير موضعها فتسبب الأذى الكثير .ولا يمكن الإنكار أبدا أن عمليات التفكير الخلاّق يكتنفها الغموض ،ونظرا للدور العظيم الذي يلعبه التفكير الخلاّق في مجتمعات المعرفة ، لا بد من تسخير الجهود وتركيز البحث في محاولة كشف النقاب عن هذه الظاهرة خاصة لما تعد به من إحداث تقدم في المعارف الإنسانية وتطورها.

1-المرجع نفسه ص 84

2-نبيل علي ،العقل العربي ومجتمع المعرفة ،ص ص/73،74

أهمية التفكير الخلاق :

إن الناظر إلى الشعارات التي أصبحت ترفعها مجتمعات المعرفة يكاد لا تخلو لافتة منها على إعلاء قيمة الإبداع والتفكير الخلاّق في البناء المفاهيمي وحتى الأساسي لها ،فهذا العصر و إن تميز بالقدرة التكنولوجية الهائلة والمتمثلة في الآلات الرقمية الذكية التي أصبحت تحل مكان الإنسان العامل والتي تمتاز بقدرتها الرائعة على معالجة المعلومات والمعارف ، فإن هذه الحال أصبحت تتطلب بذل جهود أخرى تقهر تسلط هذه الآلة وتعيد إلى إنسان هذا العصر نرجسيته وتفرده بصفة الإبداعية الإنتاجية ،وحتى ولو كانت الآلة في حد ذاتها تمثل إبداعا وتفوقا بشريا ،إلا أن حاجة عقولنا إلى صبر أغوار المجهول ربما تكون هي الدافع الرئيسي خلف كل نشاط إبداعي.

فالفكر الذي يمارس بصورة خلاقة "فـإنه نشاط معرفي أو مفهومي يتعدى مجرد التسجيل والانعكاس أو مجرد التمثل والتصور إلى فعل الإنتاج والتركيب أو إلى عمل التكوين والتشكيل ،بهذا المعنى لا يفكر المرء لكي يعرف فقط ماهو موجود أو لكي يتصور ما هو واقع ،بل يفكر لكي يسهم في تشكيل العالم عبر أنظمة العلامة وألاعيب الدلالة أو عبر وقائع الخطاب ومنظومات الرمز ،أو عبر المعادلات العلمية والمركبات المفهومية،أو عبر الممارسات السياسية وأشكال التبادل الاجتماعي "[1]

هذا هو الإنسان إنه الكائن العظيم في الوجود ،والذي يستطيع أن يأخذ أي موضوع من مواضيع هذا الوجود فيشتغل عليها ويبدع من خلالها معبرا عن عطش ذات لا يمكن لها أن ترتوي يوما من سيل المعارف.

ومع ازدياد تعقد الحياة يوما بعد يوم فان المهمة الأساسية التي تحملها المجتمعات الحالية والتي تسعى إلى الانخراط ضمن منظومة مجتمع المعرفة،هذه المهمة تقوم أساسا على تحقيق الذات وهو ذروة ما يتمناه الإنسان.فالكوجيتو الديكارتي حصر مهمة التفكير في الوجود

1-حرب علي ،الفكر والحدث ،دار الكنوز الأدبية بيروت لبنان ،ط1 ،1997 ،ص8

فكانت قيمة وجودنا تتحدد في قيمة من نكون أي أننا كائنات مفكرة فأصبح الإنسان مع هذه

العلاقة بين الفكر والوجود"ينتقل الإنسان من طور المخلوقية إلى اللاهوتية إلى طور الفاعلية الوجودية ،مغلبا استقلاليته بفكره على طاعته لربه ،إنه مثال على إعادة التفكير لتغيير العلاقة بالعالم عبر إعادة ترتيب العلاقة بالفكر ،على النحو الذي يتيح للمرء ممارسة وجوده وإبداع ذاته بصورة أكثر فاعلية واستحقاقا"[1]

وبالنظر إلى تأثير التفكير الخلاق على المجتمعات التي تقاس قدرتها برأسمالها البشري وقدرتها على حشد ذكاء أفرادها ،وجماعاتها ومؤسساتها للتفكير بتضافر جهود العقول تفكيرا خلاقا يجعلها تنعم بالاستقرار نظرا لحالة الفوضى التي ستخلق داخل هذه المجتمعات نتيجة تعدد الطبقات والمصالح والأفكار من هنا يصبح لزاما التفكير بصورة خلاقة قصد توفير بيئة مناسبة تضمن تواجد وتآلف فئات مختلفة في جو واحد.

كما أن المجتمع الإنساني العالمي في حد ذاته أصبح مطالبا بممارسة التفكير الخلاق نظرا لما أصبحت تطرحه الساحة الدولية من مشاكل أصبحت تتفاقم باستمرار كمشكلة البيئة وكذا السلم العالمي ،والاستخدام غير الأخلاقي للبيولوجيا ....الخ

ولكن ماذا عن الذات العربية والإنسان العربي ؟ السنا بحاجة إلى التعرف عليه أكثر باعتباره ركيزة في البناء النهضوي كما أنه أيضا اللبنة الأساسية للمجتمع. فما موقع الإنسان العربي في مجتمع المعرفة وكيف نظر مالك بن نبي إلى مشكلة الإنسان وكيف حددها ؟ وكيف يمكن استثمار أفكار ابن نبي في محاولة لتحديد العوائق التي تحول دون نهضة الإنسان العربي و ولوجه مجتمع المعرفة ؟

1-المرجع السابق ،ص18

الفصل الثالث

مشكلة الإنسان في مجتمع المعرفة" مالك بن نبي نموذجا"

المبحث الأول : العوامل الذاتية

المبحث الثاني : العوامل الموضوعية

المبحث الأول :

العوامل الذاتية

مشكلة الانسان في مجتمع المعرفة :

في البدء ربما علينا أن نطرح السؤال لماذا مشكلة الإنسان ؟لنوضح بعد ذلك ونقول أن الإنسان يمثل بالنسبة لذاته مشكلة كبيرة تزداد أهميتها وخطورتها في الوقت الحاضر عن أي وقت مضى من التاريخ ،فحتى الآن لا تتوافر لدينا رؤية واضحة محددة المعالم عن طبيعة الإنسان وما يزال الإنسان مشكلة كبيرة جديرة بالبحث والدراسة .نعم إن الإنسان مشكلة لأنه الموجود الذي ينظر ويتأمل ويبحث ،ويتردد ، إنه مشكلة لأنه الموجود المتناقض الذي كتب عليه أن يختار و أن يكون من بين الموجودات جميعا أكثرها شقاء وأعمقها ألما وأرهفها حساسية ، إنه مشكلة لأنه أعجب موضوع من موضوعات الطبيعة ،بل لأنه ليس مجرد موضوع نعرفه من الخارج على نحو ما نعرف غيره من الموضوعات وإنما هو الموجود الوحيد الذي نعرفه ونصفه في الوقت نفسه من الداخل فما أحوجنا اليوم إلى فهم هذا المخلوق الذي حار في وصفه الفلاسفة ،وما أحوجنا لفهم طبيعته التي غرقت في بحار التقدم المادي الملحوظ الذي يشهده الوقت الحاضر.

إن هذا التقدم الذي تشهده المجتمعات الحديثة والتي خاصة منها مجتمعات المعرفة وإن كان له عظيم الأثر في تغيير عوالم الإنسان المادية والعقلية ، فللسؤال الذي يطرح في هذه الآونة والذي يسقط على حال الإنسان العربي هو ما أهمية مشكلة الإنسان في بناء مجتمع المعرفة ؟ وما العوامل التي تعيق تقدمه وارتقاءه حتى يساهم في نهضة مجتمعه ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا الفصل استنادا إلى الأفكار التي تطرق إليها المفكر مالك بن نبي في معالجته لمشكلة الإنسان ، بالرغم من أنه لم يعاصر الفترة الذي ظهر فيها مفهوم مجتمع المعرفة ، فكيف ذلك؟ وكيف يمكننا الاعتماد على أفكار بن نبي لتوضيح مشكلة الإنسان في مجتمع المعرفة ؟ إن الإجابة بحق نجدها عند المفكر والفيلسوف كارل ياسبرس في كتابه عظمة الفلسفة إذ يقول :"وآية عظمة المفكر هي أنه يستطيع أن يجعل نفسه معاصرا الجميع ،وأنه يعرف كيف يقول ما يوقظ فيما وراء الحقب الإمكانات الإنسانية ،وأنه يصلح لهم صلاح مرآة وأنه يشجّعهم ويشد أزرهم، أو يكافحهم ويروعهم "[1]

1-ياسبرس كارل ،عظمة الفلسفة ،تعر الدكتور عادل العوا،منشورات عويدات باريس لبنان ،ط4 ،1988 ،ص115

ولقد كان ابن نبي في كثير من محاضراته يحث على ضرورة الأمل ثم العمل من أجل تحقيق وبناء مجتمع أفضل حيث يقول :"ولكن الذي ينبغي علينا أن نعلمه ونفكر فيه منذ اليوم هو لون الواجبات التي يلقيها على كاهلنا بناء النهضة ،نهضة مجتمعنا ،ذلك المجتمع الذي أصبحنا نشعر بوجوب بنائه وتحريك طاقاته التي عطلها التاريخ منذ قرون ،قرون التدهور والانحطاط التي كان حظ العالم الإسلامي منها كبيرا بعد ازدهار حضارته"[1]

إن هذه هي رؤيا ابن نبي في البناء النهضوي القائم على نهضة المجتمع وحركيته وهذا إن كان حقيقة ما جذبنا إلى فكره و إلى طريقته في التحليل والتركيب .فالطريق إلى النهضة يقوم على أساس واضح ومتين وهو بناء مجتمع المعرفة ، فنحن إذ نعتمد على هذا المفكر فإننا كما يقول ياسبرس :"نسعى لإحياء المعنى المقصود برمته ،ونسعى إلى النفوذ إلى داخل فكر الفيلسوف لنعيد تفكيره ،ونسعى كذلك إلى جعل الفيلسوف حاضرا يواكب العمليات الفكرية التي يضطلع بها ،فنحن نعتنق طرقه في البناء والجدل والنفوذ العميق وإدراك تماثل الحوادث المعطاة ،وعلى هذا المنوال نتعلم ونفوز باختزالات منظمة "[2].

قال تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ضمن سياق هذه الآية كان مالك بن نبي يفكر في بلورة حضارة مجتمع ما بعد الموحدين الذي فقد كل الخصائص التي تجعل منه مجتمعا تاريخيا، وكان مبد ؤه في ذلك أن قضية كل مجتمع أو أمة هي قضية حضارة. ولأجل هذه المهمة اختار إستراتجية تفكيك المفاهيم النظرية ومختلف الأطروحات الفلسفية والاجتماعية التي تكون بنية الفكر الإسلامي والفكر الغربي ثم بعد ذلك أخذ يشخص الواقع

العربي والإسلامي إلى مكوناته الجزئية على مستوى الفرد، المجتمع، الدولة، الحركات الإصلاحية والمذاهب معتمدا على الدقة " وبكل براعة" في تحليل الأبعاد النفسية الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، الدينية وأنثروبولوجية التي تحدد تركيب المجتمع ككل.

1-بن نبي مالك ،تأملات ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ندار الفكر دمشق ،ط2 ،2002 ،ص156

2-ياسبرس كارل ،عظمة الفلسفة ،ص116

وفي نفس الاتجاه ظهر مالك بن نبي بارعا في الكشف عن جدلية التأثير والتأثر بين الثقافتين (الإسلامية والغربية).و في المرحلة الأخيرة أرسى معالم البناء الاجتماعي للأمة واقترح لها الحلول الممكنة والشروط الضرورية للنهضة.وإن الظروف التي يمر بها المجتمع الإسلامي الواسع والمجتمع الدولي يجعل نسبة ثقتنا في مشروع النهضة الذي بشر به مفكرنا تزداد أكثر فأكثر، ونحن ننطلق ه نا من إفتراض فحواه أن الأفكار التي ينطوي عليها هذا المشروع لم تكن خاضعة لبعد زمني محدد وإنما تأخذ بعدا زمنيا طويل المدى.يقول ابن نبي :"الواقع الماثل في امتداد نهضة العالم الإسلامي عبر قرن كامل من الزمان ،دون أن نتوصل حتى الآن إلى النتيجة التي بلغتها مجتمعات أخرى انطلقت من نفس النقطة ،لا يعزى لفقدان الوسائل وإنما يرجع إلى فقدان الأفكار "[1]

وكما ورد في الفصل السابق أهمية الأفكار النقدية والخلاقة في بعث حركية المجتمع وتطوير الفكر الإنساني باعتباره الأداة اللازمة والفاعلة لمجابهة واقع التخلف المرير "فالأفكار هي أشياء تبتدع أو يعاد ابتكارها وإنتاجها في أتون التجارب الفردية وفي رحم الممارسات الاجتماعية ،وأما محاولات نقلها وتطبيقها فلا تنتج سوى هذا الخراب الذي جرت إليه العقليات الأحادية والآليات السحرية في التعامل مع مفردات التنوير والتحرير والتغيير والتقدم والبناء "[2] في حين يرى بن نبي أن "الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الأعمال ،وهي تتولد من الصور المحسة الموجودة في الايطار الاجتماعي فتنعكس في نفس من يعيش فيه ،وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره "[3]

من هنا يغدو واضحا أن المشكلة أصبحت تتعدى نقد الأفكار وإبداعها إذ أصبحت تتعلق بالإنسان في حد ذاته باعتباره المنتج لهذه الأفكار من جهة ،كما ترتبط من جهة أخرى بتأثير

1-بن نبي مالك ،القضايا الكبرى ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،دار الفكر دمشق ، ط2 ،2000 ،ص 52

2-حرب علي ،الفكر والحدث ، ،دار الكنوز الأدبية بيروت لبنان ،ط1 ،1997 ص22

3-بن نبي مالك مشكلة الثقافة ،تعر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط5 ،2000،ص8

عوامل خارجية إما تساهم في تثبيت قيم التقدم والنهوض أو أنها ترسي دعائم الانهزامية والانغلاق على الذات ، فإشكالية الإنسان في الفكر البنابي لا تنفصل عن أسبابها وعناصر ها وهذه العناصر تنقسم إلى ذاتية وموضوعية.

فإذا كانت عملية إنتاج المعرفة تعتمد على وجود المعلومات بصورة وافرة ،وإذا كانت عملية الاستقراء تعني التجريب والجانب الملموس أكثر من أي شيء آخر ،فان الملاحظة المهمة هي أن الظواهر الاجتماعية لا يتم تلخيصها كما يتم تلخيص الظواهر الطبيعية فالنشاط السياسي مثلا يعتمد على الإنسان وكيفية إدارة شؤونه ، والإنسان ليس كالأشياء فالأشياء الجامدة والحيوانات والنباتات يمكن إجراء التجريب وأساليب المختبر عليها بصورة علمية صارمة أما الإنسان فليس وسيلة لإجراء التجارب ،إنه الهدف الذي من أجله تجرى التجارب ولذلك فان المفكرين يطرحون مفهوم الإدارة المعرفية للشؤون الإنسانية ،والتي تعتمد على الجوانب الثقافية والمؤثرات السلوكية على الإنسان.بمعنى آخر ، إنها تتعامل مع "الذكاء الاجتماعي "،ورأس المال البشري الذي يتكون من مجموعة إنسانية تتعامل مع بعضها بعضا وتشترك في إدارة شؤونها عبر وسائل إنسانية لائقة بها .

ولتوضيح أهمية الجانب المعرفي فان أكثر من نصف الإنتاج في الدول المتقدمة خلال السنوات الماضية اعتمد على الاقتصاد المعرفي (knowledge-based economy) أي ذلك الاقتصاد القائم على العامل الإنساني المتداخل والمسيطر والمستخدم تكنولوجيا المعلومات.وهناك فرق رئيسي بين الذي يشغل هذا الاقتصاد المعرفي وبين الفرد الذي اعتمد عليه الاقتصاد الصناعي ،فهذا الأخير اعتمد على صاحب رأس المال وعلى العامل الذي يكدح من أجل الحصول على قوت يومه ،أما الاقتصاد المعرفي فيعتمد على أصحاب العقول العملية ،وهؤلاء ليسوا عمالا أو موظفين ، إنما هم تلاميذ معرفيون ،يشتغلون في المعرفة ومشغلون معرفيون (worker knowledge) على حد تعبير المفكر بيتر دركر .

ولأهمية العامل الحامل للمعرفة في نهضة المجتمع يقول مالك بن نبي :"يجب أولا أن

نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى "[1]

فماهي العوامل **الذاتية** والتي تعمل في الإنسان عوامل هدم فتسرع في أفوله وسقوطه بدل نهوضه ؟

يمكن تلخيص هذه العوامل وحصرها في العناصر التالية :

1-العامل النفسي (الوهن):

لقد اهتم الفلاسفة منذ العصور الغابرة بدراسة النفس الإنسانية وعلاقتها بالأفعال الإرادية واللاإرادية فالإنسان ليس فقط مجرد جسم مادي بل يوجد لديه بالإضافة إلى هذا الجسم شيء آخر له آثاره الواضحة ،فشبهها انكسيمنس بالهواء ،فكما يبث الهواء الحياة في العالم فان النفس تبث الحياة في الجسد وتخرجه إلى هذا العالم ،في حين شبهها ديكارت في كتابه تأملات ميتافيزيقية بأنها الربان الذي يقود السفينة باعتبار أن السفينة تمثل الإنسان فكلما رفعت هذه النفس تحديات كبيرة وواجهتها ،كلما كانت الاستجابة مماثلة لقيمة التحدي وهذا الذي حاولته الحركة الإصلاحية في بداية النهضة حين قررت التغيير وركزت على تغيير الجوانب المحيطة بالنفس فأهملت اللب وغيرت القشور.

وقد ركز مالك بن نبي في أبحاثه عن النهضة على البعد النفسي والذي يجب وضعه ضمن الأولويات إذ يقول في ذلك :"فالمشكلة لا تطرح من الجانب التنظيمي ،بل من الجانب النفسي لأنها مشكلة البنية الذهنية "[2]

وقد تفطن سقراط قديما أن الوسيلة لتغيير المجتمع اليوناني واصلاح حال الشباب فيه تبدؤ من تغيير النفس فرفع شعاره "اعرف نفسك "فكانت النفس هي منطلق التغيير

1-بن نبي مالك ،شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين ،عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر ،دمشق ، 1986،دون طبعة، ص75

2-بن نبي مالك ،بين الرشاد والتيه ،دار الفكر الجزائر ،ط2 ،1988 ،ص46

كما ركز مالك بن نبي على هذه النقطة وهو يورد دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،فإذا كان دوره يتحدد باعتباره شاهدا على العصر ،فإن رسالته القائمة على فعل التغيير ومهمة الإنقاذ تتحدد في ثلاث نقاط هي :

1-أن يعرف المسلم نفسه

2-أن يعرف الآخرين

3-أن يعرف الآخرين بنفسه

يقول بن نبي :"يجب أن يعرف المسلم نفسه بالتدقيق ،وأن لا يغالط نفسه في معرفة نفسه لأنه طالما عمي المسلم بسبب هذه المغالطة "[1] .

ومشكلة الإنسان كما يتعرض لها بن نبي تكمن في عقدتين نفسيتين هما :مركب النقص الذي ولده الشعور بالانبهار والثانية هي القابلية للاستعمار ، إذ نلاحظ هنا تداخلا بين حالتين نفسيتين هما ،الشعور بالنقص،ومركب النقص.فلا يمكن اعتبار الشعور بالنقص حالة مرض نفسي وإنما هي حالة من الشعور تحتل وعي الإنسان،فتوقض الذات وتدفعها إلى البحث عن الكمال المفقود أو الغاية المرجوة من الوجود ، لأنك حينما ترى غايتك في الحياة وتحددها فانك تسعى إليها بدافع نفسي عجيب يجعلك تسخّر كل ما تستطيع في سبيل تحقيقها.

في حين أن مركب النقص حالة مرضية تؤدي بصاحبه إلى أن يسلك سلوكا هستيريا يشل وظائفه كما يخل بمقومات وجوده ،ومركب النقص لا يقف تأثيره السلبي عند هذا الحد بل أنه يدفع الذات إلى التعلق بالآخر واعتباره المثل الأعلى والأصلح وهذا إن كان له جانب ايجابي ،فإن جوانبه الهدامة تطغى عليه إذ يترتب عنه معضلات وعوائق تعيق النمو النهضوي وانبعاث إنسان النهضة أو إنسان مجتمع المعرفة .ومن معالم المرض النفسي التي يحددها ابن نبي ،ظهور ذهان الاستحالة والسهولة ،والجنوح إلى عادة التبرير بدل السعي إلى

1-بن نبي مالك ،دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،دار الفكر دمشق ،ط1 ،1978،60

مقاومة الواقع ،مع كثرة الفخر والمديح والغوص في الماضوية الساحقة ، أو اللهث الدائم وراء العصرنة ...الخ ،وهذه الأفكار قد تطورت في الفكر العربي مع مفكرين أمثال مطاع صفدي وكذا مع الدكتور مصطفى حجازي وأخذت لها تسميات أخرى كالإنسان المقهور والإنسان المهدور.

ومن نتائج الوهن النفسي حدوث التصدع في العلاقات خاصة بين الذات والموضوع (الحضارة)أي تحطم الوحدة الإنسانية إلى جزيئات متفرقة ،يقول ابن نبي :"فكلما تحطمت وحدة الإنسان إلى جزئين واحد يسمى الكائن المعنوي والكائن الموضوعي ،فان الأمر سيؤول إلى تجزئة الأمة وبالتالي وباطراد سريع إلى تجزئة الإنسانية"[1]

وهذا التمزق في وحدة الأنا ينعكس سلبا على طريقتنا في التفكير والتصرف ،ولعل أكثر ما يهدد فكرنا في هذه الحالة هو انصرافه من الاهتمام بعالم الأفكار إلى الاهتمام بعالم الأشياء فيلجؤ إلى اعتناق ظاهرة التكديس ضنا منه أنها مكمن ضعفه وتخلفه إذ يقول بن نبي مالك في ذلك :" إن عوامل التعطيل لا يزال بعضها عالقا بعالم النفس عندنا ،في صورة رواسب خلفها في نفوسنا عهد الكساد "[2]

فقد يخطيء من يظن أن الطريق إلى مجتمع المعرفة هو في تسهيل اقتناء أجهزة الحاسب ،أو في ملأ المكتبات بشتى الإصدارات إذا لم تراعى في ذلك فعالية التسيير ومدى محتويات المواد المنشورة إن كانت حقا تسير في اتجاه دعم تطوير وتنمية ملكات الفهم والتفسير والتفكير.وإذ ذاك يتوجب مراعاة الجانب النفسي في كل عملية تهدف إلى النهوض

أو النماء لما لها من انعكاسات سلبية وخطيرة على الذات المراد تنميتها والنهوضبأدائها.

فمعرفة سبب الخلل تساعد في نجاعة تطبيق الحلول عليه ،إذ يتوجه بن نبي إلى المسلم قائلا

1-بن نبي مالك ،بين الرشاد والتيه ،ص74

2-بن نبي مالك ،تأملات ، ص 188

:"يا ليته لم يلعن طيلة القرن الماضي الاستعمار بل القابلية للاستعمار "[1]

2-**العامل الفكري :** إن الحاجة الملحة للتفكير في مسألة التفكير تخلق أمام العقل العربي إمكانات واسعة للإبداع كما توسع من جهة أخرى مجال رؤيته للأحداث حتى يتمكن من معالجتها بطريقة أنجع ،وقد اهتم مالك بن نبي بمعالجة قضية الفكر لما يمثله من عمل محوري وأساسي يسبق الفعل ،فنظّر لعالم الفكر ووضعه مقابل عالم الأفكار والأشخاص ،وقد خصص لذلك كتابا أسماه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي " وحدد فيه أنواعا من الأفكار هي الميتة ،والخاذلة ،والقاتلة والحية ،كما تحدث عن علاقة الأفكار بالأوثان وعلاقتها باللغة والايديولوجيا ،كما تحدث أيضا عن الفكر المطبوع والفكر الموضوع.ولذلك نادى بجدوى تصفية العادات والتقاليد مما تحمله من أفكار قتالة لا فائدة منها حتى يصفو الجو لانبثاق الأفكار الداعية للحياة. إذ يفسر بن نبي حالة الانحطاط التي يعيشها المسلم العربي بانها ناتجة عن عوامل فكرية،تمثلت في خيانة إنسان ما بعد الموحدين لأفكاره المطبوعة واعتناقه أفكارا دخيلة لا تتفاعل مع جو ثقافي يحيا حالة معينة بذاتها ،فجعله ذلك عرضة للأفكار المميتة والخاذلة على السواء.يقول ابن نبي :"وان هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة "[2]

وهذا ما أصبح يتطلبه مجتمع المعرفة اليوم فكر مبدع ، وإنسان مبدع يساهم في اغناء تنوع الثقافة العالمية كما يساهم في إبراز خصوصية وتميز الثقافة المحلية.

وبالنظر إلى فعل التدمير والهدم الذي تعمله الأفكار الميتة ،فان الحاجة تتزايد لا إلى عالم الأشياء وإنما إلى فاعلية الأفكار إذ يقول ابن نبي في هذا الصدد :"أن الأشياء لا تؤدي مفعولها الاجتماعي تلقائيا ،ولا تؤثر وحدها في صياغة العملية الاجتماعية ،وإنما تؤثر

1-بن نبي مالك ،دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،ص60

2-بن نبي مالك ،شروط النهضة ،ص8

بمقدار ما يضاف إلى مفعولها من دوافع نفسية وتوجيهات فكرية معينة... والبناء لا يتم بالأشياء مهما كانت صلاحيتها وثمنها ، وإنما يتم بالدوافع التي تحرك تلك الأشياء وبالفكرة التي تربطها بالعملية الاجتماعية "[1]

فالذي أصبحت تتطلبه عملية النهوض للانتقال بالمجتمع العربي إلى مجتمع المعرفة لا يقتصر على توفير الإمكانات المادية أكثر مما يتطلب تركيزا على عالم الأفكار التي تحمل ميزة الفعالية حتى تعالج جملة المشاكل الكثيرة والمستعصية التي يغلب عليها طابع الانفعال الظرفي المتجذر في الأنا الفكري والجمعي للمجتمع العربي.

3-العامل الديني :

طالت التغييرات التي طرأت على الدول العربية الجوانب الثقافية والمعرفية ،ومن بينها الدين

فالبناء المعرفي يتأثر بالدين كأحد السياقات المجتمعية التي تتضمنها الثقافة العربية وهو بحاجة إلى الاجتهاد المتواصل القائم على الأسس العلمية والموضوعية مع اعتماد نصوص القرآن كمرجع أول وأساسي لهذه الاجتهادات ،هذا الاجتهاد الذي يقوم على الخبرة الكافية ويهدف إلى نشر المعرفة بين الناس ويعتمد تنوعها وتنوع مصادرها إلى جانب تعمقه في البحث في كافة ميادين المعرفة ليصبح بذلك منسلخا عن السلطة السياسية حتى لا يكون الاجتهاد في خدمتها .

وقد تنبه ابن نبي إلى دور العامل الديني في تأزيم مشكلة الإنسان ،فالدين لما أشرب في العقول والقلوب كان محركا قويا استطاع في ظرف وجيز أن يصنع أمة استحوذت على التاريخ والحضارة لكنه لما أصبح مجرد مظاهر وسلوكات ، وأفرغت نصوصه من مضامينها ،تحول إلى عامل تخدير وهدم ، ولقد وجدت كل الأفكار القاتلة في الدين الوسيلة

1- بن نبي مالك ،تأملات ،ص195

المثلى للعبور إلى ضمائر ونفوس الأشخاص ،يقول ابن نبي :"يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ،كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها "[1]

ومشكلة الدين المعرفية لا تكمن في أن القرآن الكريم هو المرجع الأساسي و الأولي للفكر الإسلامي، وإنما تكمن المشكلة في إمكانية التعاطي مع هذا المرجع كنص أحادي بعدما

أصبح هؤلاء العلماء يتعاملون معه كمرجع جامد وتقليدي غير قابل للحركة ،متناسين صلاحيته لكل زمان ومكان ،خاصة بعد إهمال العلماء التعاطي مع التقنيات الحديثة التي كشفت عن آليات جديدة للتعامل مع هذا النص ليس كنص أحادي ، وإنما كنص جامع لخصائص متعددة.

وهذا الواقع الذي أسبغ على الدين صفة الجمود والعجز عن التعاطي مع متطلبات

العصر الجديد (عصر المعلوماتية والمعرفة)أنكر على هذا الدين ما يحويه من معارف

ومقومات أهّلته لأن يكون مرجعا أساسيا لنصوص الدين و تشريعاته ،إلا أن ما فرض على هذا الدين وعلمائه بشكل أو بآخر من قبل النظام السياسي المحلي والعالمي أيضا أساء إلى هذا الدين الشيء الكثير ل جعله يعاني من أزمات وتحديات تجاوزها كفيل بجعل هذا الدين يخدم البناء المعرفي المنشود. ف"لا جدال على أن صحيح الدين يحض على ارتياد العلم وإقامة مجتمعات المعرفة ،وليس فقط لا يتعارض مع أي منهما ،ولعل عصر الازدهار العلمي العربي الذي اتسم بتآزر قوي بين الدين ممثلا في الإسلام من جهة والعلم من جهة أخرى لخير دليل على ذلك "[2]

فما الذي يقدمه لنا الدين ويمكننا استثماره حتى يكون بوابة نلج من خلالها مجتمع المعرفة ؟

إننا نجد الإجابة عند ابن نبي حين يتحدث في كتابه "شروط النهضة " عن أثر الفكرة

1-بن نبي مالك ،الظاهرة القرآنية ،ص300

2-تقرير التنمية الانسانية 2003 ،ص7

الدينية في تكوين الحضارة ،حيث يقول :"الفكرة الدينية التي تشرط سلوك الفرد تخلق في قلوب المجتمع بحكم غائية معينة ،وذلك يمنحها إياها الوعي بهدف معين ،تصبح معه الحياة ذات دلالة ومعنى ،وهي حين تمكن لهذا الهدف من جيل إلى جيل ومن طبقة إلى أخرى ، فإنها حينئذ تكون قد مكنت لبقاء المجتمع ودوامه ،وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة "[1]

فالفكرة الدينية تمهد الطريق لاستمرار البناء المجتمعي ،كما أنها أيضا تشد الأوصال بين أطراف هذا البناء وتقويها ،إنها تخلق لحمة بين الفرد والآخر ،ولكن ما الذي بوسعنا فعله وما الذي نحتاجه اليوم ونحن نتعامل مع الظواهر الدينية في مجتمع جديد هو مجتمع المعرفة ؟فقد تحول الدين والظواهر الروحية إلى جزء من الثروة الجمالية والثقافية والاقتصادية ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور بوزيد بومدين :

"فالتدين سواء كسلوك فردي أم انتماء جماعي سنعيد قراءته وفق التطورات الجديدة التي لا تطرح قضية الله كعائق أمام العقل مثل القرنين السابقين ،ولو أن التدخل الديني سيبقى له حضوره فيما يتعلق بقضايا الجينوم والتدخل البشري في الطبيعة الإنسانية "[2]

فما نحن بحاجة إليه في الوقت الحالي هو الاشتغال على الدين ومنه النصوص الدينية كمعطى حضاري وذلك عن طريق خلق وقائع تعيد صياغة الطريقة التي نشتغل بها على الأفكار الدينية وكل ما تحمله بين طياتها ،قصد تجديدها وتطويرها أو بمعنى آخر فان ما نحن بأمس الحاجة إليه هو الوجهة أو العدة والطريقة في التعامل مع هذا المعطى التاريخي الحضاري تعاملا لا ينقصه قدره بل يبرز أهميته ودوره الفعال في تركيب العقل العربي .

1-بن نبي مالك ،شروط النهضة ،ص72

2-المجلس الأعلى للغة العربية ووزارة الثقافة ،الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية ،منشورات المجلس 2008الجزائر ،ص ص/145-146

4-العامل الثقافي :

كثيرا ما تتهم ثقافة مجتمع من المجتمعات بأنها عائق أمام تقدمه ،ذلك أنها لا تشجع البحث بل تساهم في تحجر الفكر وتلبده ، إنها تقدس الشخص لا فكرة البحث في حد ذاتها كما توكل مهمة النهضة والتقدم إلى أساس ثقافات أخرى تشجع الابتكار والإبداع ،ومما لاشك فيه أن الأمم الساعية نحو التقدم والقيام بدور هام ومشرف في التاريخ البشري هي الأمم التي تنظر إلى الأمام بعين رائية ،من خلال اعتمادها استراتيجيات مستقبلية شاملة للتنمية تدرك من خلالها متطلبات العصر ،وتأتي التنمية الثقافية إحدى المحددات التي يقوم عليها السياق المجتمعي في مقدمة صنوف التنمية الاجتماعية.

ولما كانت المعرفة لا تنش أ في فراغ مجتمعي وإنما في مجتمع له واقعه وتاريخه ورؤياه المحلية والإقليمية والعالمية. "فالحركة الإصلاحية لم تستطع تغيير النفس الإسلامية بل لم تستطع أن تترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية ،للدين ولكنها نجحت في إزالة الركود الذي ساد مجتمع ما بعد الموحدين ،حيث أقحمت في الضمير الإسلامي فكرة مأساته المزمنة ،وان كان ذلك قد اقتصر على المجال العقلي فإذا ما أريد للنهضة أن تبرز إلى عالم الوجود فان علينا أن نواجه مشكلة الثقافة في أصولها "[1]

فالتفكير في مشكلة الإنسان وفي تفكيره ينطلق من هذه النقطة بالذات أي الثقافة وذلك لأنها أحد المداخل الهامة لمعالجة إشكالية النهضة العربية وإمكانية حدوثها ،انطلاقا من أن الثقافة تفتح الأفق واسعا من أجل إحداث تطور وتقدم في شتى القطاعات التي يمكن للفكر أن يشتغل بتحليلها ونقدها أو يعتبرها منطلقا يبدع من خلاله وبه ،فالتراث القديم مازال حيا في الوجدان يتابع حضوره من الماضي إلى الحاضر ،ويؤثر فيه ويمكننا من نسج تصورات للعالم كما يمدنا بموجهات السلوك الصائب.لذلك يصبح من المهم قبل الشروع في التأسيس

1-ابن نبي مالك ،وجهة العالم الإسلامي ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،بيروت ،دار الفكر ،دون طبعة ودون سنة الطبع ،ص65

لنهضة مجتمع ما التعرف على السمات العامة لثقافته أو بالأحرى تحديد موقف من مشكلة الثقافة في حد ذاتها . و الثقافة هي "المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان ،وفلسفة الجماعة ،أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد"[1]

ولما كان الفرد الإنساني يؤثر في مجتمعه بثلاث مؤثرات :بماله ،بفكره ،بعمله ،فانه لا تتأتى معالجة قضيته إلا من خلال توجيه الثقافة ،وتوجيه العمل ،وكذا توجيه رأسمال والتوجيه بصفة عامة هو "توافق في السير ووحدة في الهدف فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها "[2].

وإننا لا نلجؤ إلى التوجيه إلا لأنه يجنبنا الإسراف في الوقت وفي الجهد ،فكم من طاقات هائلة يزخر بها المجتمع العربي إلا أنها تترك مهدورة وتضيع فرصة الاستفادة منها ،وهي صالحة للاستخدام في كل وقت فالمهم إذن هو أن "ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية ،والإنتاجية المناسبة لكل عضو "[3]

فالولوج إلى مجتمع المعرفة قصد إحداث نهضة ثقافية وعلمية لن يتأتى إلا من خلا ل استغلال البعد العالمي للثقافة ،ونحن لا نقصد هنا العولمة أو الكوكبة ،كما أن مالك بن نبي لم يتحدث عن مجتمع المعرفة وسبل قيامه ،إلا أنه تعرض لفكرة الثقافة وتأثيرها العميق في رقي المجتمعات ،وهي في حد ذاتها تمثل نقطة انطلاقة مهمة في ظل وقت أصبح فيه العالم قرية صغيرة فان بن نبي قد ركز في مسألة الانفتاح على الآخر من باب تلاقح الثقافات ،لأن ذلك سيساهم في توسيع دائرة الاتصال وبالتالي يسمح بتوسيع الرؤى حول معالجة المشاكل

1-ابن نبي مالك ،شروط النهضة ،ص83

2-المرجع نفسه ،ص78

3-المرجع والمكان نفسه.

العالمية كالفقر والأمية وقضايا التصحر....الخ ويمكن النظر إلى مسألة المهام التي تضطلع بها الثقافة من ثلاث جوانب هامة:

1-الارتقاء بمستوى الإنسان العربي المتحرر من الاستعمار إلى مستوى الحضارة ،وذلك عن طريق "تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل قتّالة وقيم لا فائدة منها ،حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة"[1]

2-الارتقاء بالإنسان المتحضر الذي لا يزال ضميره ملطخا بإثم الاستعمار إلى مستوى الإنسانية ،وذلك لن يتم في عصر مجتمع المعرفة إلا عن طريق إعمال النظر الفلسفي الناقد والمبدع في آن معا لمعالجلة مشكلة القيم الإنسانية كمسألة الحقوق والحريات ،الخير والشر...

3-إدخال الشخصية العربيةفي المسألة الرئيسية للسلام ،والذي يتطلب منا في الوقت الحالي القيام بمبادرات جادة على الصعيد السياسي تمكن ليس فقط الشخصية الإفريقية من المساهمة

الجادة في معالجة قضايا العالم العربي خاصة مع ما يشهده من ثورات وتغييرات على

الخارطة السياسية.وهذه المهام ولو عالجها بن نبي في ظل حديثه عن الفكرة الآفر وآسيوية إلا أنها لازالت تجد لها امتدادا إلى واقعنا المعاصر.

5-العامل الجمالي والمنطقي :

يضيف مالك بن نبي إلى العوامل السابقة والتي أثرت على مشكلة الإنسان وزادتها تعقيدا مشكلة الجانب الجمالي والجانب المنطقي .فالظاهرة الأولى تعود إلى فقدان الإنسان العربي القيمة الجمالية للحياة ،والذوق الجمالي فيها بالرغم من أنه كان المقصد في كل سلوك يقوم به المسلم ،وذلك أصلا يتأتى من الثقافة الإسلامية وتعاليمها ،ألم يحث النبي على إتقان العمل إذ

1-المرجع السابق ،ص78.

قال :" إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه "،وقد ظهرت القيمة الجمالية في حياة المسلمين أيام الازدهار وتمثلت في أوجه عديدة منها العمارة ،والكتابة ... يقول بن نبي :" الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال ،بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة ،فينبغي أن نلاحظه في أنفسنا كما ينبغي أن نتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا مسحة الجمال التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي "[1]

أما اليوم وأنت تجوب شوارع المدن تجد لكل طابق في عمارة لونا معينا ، أما عن السكنات التي يهتم أصحابها ببنائها فحدث ولا حرج ،كل يقيم صرح منزله على هواه دون مراعاة لقيمة الذوق الجمالي ولا لطابع التناسق بينه وبين الأبنية المجاورة له ،فصارت حياتنا تكتسحها الفوضى ،الفوضى التي تكسر وتقهر أي محاولة للتجديد والإبداع ،ونحن في زمن أصبح يتطلب فسح المجال للعقل حتى يبدع ويتذوق فن الإبداع فيعطي فيه لمسة الجمال التي تعبر عن ذات راقية ترتقي بعلمها ومعرفتها وحتى بذوقها.

"فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات، ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة إذا ما عددناه المنبع الذي تصدر عنه الأفكار وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع"[2]

إنها دعوة صريحة من فيلسوف الحضارة لازالت تجد فاعليتها وأهميتها في الزمن الحالي ،زمن السرعة والتطور والذي بالرغم من زخم الإنتاج الصناعي فيه إلا أن العامل الفني لا زال يحتفظ بقيمته الأساسية باعتباره يعبر عن الفكر الناهض الراقي الذي يجسد إنسانية الإنسان وعبقريته ،إنها إذن دعوة صريحة للاهتمام بالعامل الجمالي في حياتنا

1-ابن نبي مالك ،مشكلة الثقافة ،تعر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط 5 ، 2000 ،ص85

2-المرجع نفسه،ص82

وإبرازه ،وتنمية مهارات المبدعين في مختلف مجالاته .

أما عن العامل المنطقي فيعرفه بن نبي ب :"كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا دون مقياس ،يستمد معاييره من الوسط الاجتماعي وما يشمل من إمكانيات ،وليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستخرج به نتائج من مقدمات محددة ،غير أنه من النادر جدا أن يعرف المنطق العملي أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة "(1)

ونتيجة لذلك أصبحت مشاكلنا عوضا عن أن تعالج في قوالب منطقية موضوعية أصبحت تعرض في أطر ضيقة إذ لا تخرج عن حدود الكم والشيء ،وهذا إن نظرنا إليه من الجانب المتسع نجد حتى التقارير الدولية أصبحت تنحو هذا المنحى الكمي في تفسير الظواهر وفي جمع المعطيات المتعلقة بالجانب المعرفي والتي تخص العالم العربي ،فهي حين تتحدث عن التعليم تقيسه استنادا إلى عدد الأقسام والمعاهد والكليات دون أن تعطي جانبا من الأهمية للعملية التعليمية في حد ذاتها ،أي عدد المعلمين ذوي الكفاءات،برامج التدريس

و إذا كانت تحمل نفس الجودة العالية التي يتطلبها هذا العصر ،تكامل البرامج ومدى ملامستها للواقع المعاش ...الخ

1-ابن نبي مالك ،مشكلة الثقافة ،ص85

المبحث الثاني :

العوامل الموضوعية

المبحث الثاني :العوامل الموضوعية

مثلما كانت العوامل الذاتية عوامل هدم تعوق مسيرة الإنسان العربي نحو النهضة ،فإنها كانت أيضا تمثل تحديا قاسيا يتوجب على الفكر العربي إمعان النظر فيه والانطلاق منه من أجل تفاديه وتفادي ظهور مظاهره أثناء عملية البناء والتشييد لإقامة مجتمع المعرفة العربي ،كذلك الحال بالنسبة للعوامل الموضوعية والتي تضع لنفسها أيضا بصمة ضمن العوامل المعيقة لمسيرة النهضة العربية ،ويقصد بها العوامل الخارجية والتي تعمل بقوة على تأزيم مشكلة الإنسان في البناء النهضوي الساعي الى تأسيس مجتمع المعرفة.

ويمكن حصر هذه العوامل في :

1-العامل التاريخي :

بما أن التاريخ لا يفهم بمعزل عن فلسفة التاريخ ،فقد نظر بن نبي إلى مشكلة الإنسان في بعدها التاريخي وحاول معالجة العوامل الذاتية والموضوعية التي ترتبط به انطلاقا من هذه الصيرورة التاريخية والتي لا يمكن عزله عنها ،فمشكلة الإنسان في العالم الإسلامي مرتبطة بالبعد التاريخي بل لا يمكن إنكار البعد التاريخي في دراسة التحولات التي تطرؤ على الإنسان في أي حضارة كانت .

وفي هذا الصدد يقول ابن نبي :"انه لا يجب أن ننسى أن الإنسان لا يدخل العمليات الاجتماعية بوصفه مادة خاما ،بل يدخل في صورة معادلة شخصية صاغها التاريخ و أودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة ،تحدد موقف الفرد أمام مشكلات بما يكون هذا الموقف من القوة أو الوهن ، من الاهتمام أو التهاون ، و عدم الضبط ....الخ "[1]

وبما أنه لكل حضارة دورة ثابتة هي بمثابة السنة الكونية وهي الميلاد القوة والضعف ،وبما أن للإنسان أطوار حياتية مماثلة هي الطفولة والشباب والشيخوخة فان مشكلة الإنسان تخضع

1-ابن نبي مالك ،تاملات ،ص 17

لا محالة للحتمية التاريخية.

وحسب مالك بن نبي فان العامل التاريخي يسير جنبا إلى جنب وفق العوامل الذاتية ،و أن الإنسان أو الحضارة لن يشهدا لحظة الأفول إلا حينما يستنفذ الإنسان جميع ما لديه من عوامل التحدي والتدافع ،وما تشهده أحوال العالم العربي الإسلامي اليوم لخير دليل على تحركات حاسمة في المجال الذاتي والموضوعي معا والتي أصبحت تنبئ بميلاد مجتمع جديد يكون هو مجتمع المعرفة ، فقد أصبح الإنسان العربي يرفع أصعب التحديات والمتمثلة في الآونة الأخيرة في ثورته ضد الأنظمة الفاسدة .

ولعل هذه الأحداث بحكم ما أنها متسارعة وحاسمة إلا أنها تتطلب الكثير من الدراسة والمساءلة حتى لا تفقد كل ثورة مبررات وغاية قيامها ،وحتى تصل إلى صناعة الإنسان العربي الحر الذي ينطلق من ممارسة حريته إلى التفكير بحرية في واقعه وأمله وحلمه.

2-العامل الاجتماعي :

إن المدنية والتمدن تنشئ شبكة من العلاقات الاجتماعية تعكس بصدق الحالة التي هو عليها الإنسان ، والاجتماع الإنساني الذي عبر عنه ابن خلدون يلعب دورا هاما وأساسيا في بناء الإنسان أو هدمه.

وقد تحدث ابن نبي عن الانحلال والتفكك الذي أصاب المجتمع الإسلامي لما اتسعت رقعته واختلطت الأجناس داخله بد أ يصيبه الوهن ،وأصبح يكتسب شيئا فشيئا أسباب الانحطاط والقابلية للاستعمار.

والذي يتطلع على كتاب ابن نبي ميلاد مجتمع يلاحظ استعماله منهج التحليل النفسي الاجتماعي في دراسة المجتمع ساعة الميلاد أو الأفول ،وقد توصل من ذلك إلى عدة استنتاجات :

المجتمع العشائري يغيب فيه الانتماء الإنساني الذي يحث عليه النص المقدس ،مما يجعله اقرب إلى المجتمع البدائي الذي تسيطر عليه الغرائز ، وينتج هذا النظام العشائري بالقوة اللاشعور الجمعي واللاوعي ،وتلعب الوراثة الاجتماعية الدور البارز في تسفيل الإنسان

وتحويله إلى إنسان الكتلة ،ويصبح كل ماهو موروث تركة مقدسة بدل كونه مقوما أو معلما للحياة.

وهنا تكمن الخطورة إذ تفقد الفكرة وظيفتها وتدفن في غياهب اللاشعور ،والمجتمعات الميتة من الوجهة الحضارية تكون علاقتها مبنية على أسس هشة ،تكون لديها مركب القابلية للاستعمار ،فيصبح أفراد هذا المجتمع يحملون بذور فنائهم في ذواتهم ويصبح من مظاهر الأزمة فيه أن كل فم لا يستطيع تامين قوت يومه ،وكل ساعد لا يستطيع توفير عمل يقيه شر السؤال ،وكل أسرة يصبح الخلق والإبداع عندئذ آخر همومها .

هذا ما ينجر عنه سوء التناسب الحاصل بين النظام الاجتماعي وعالم الأفكار ،فيغدو فيه الإنسان مقهورا مذلولا لا تتعدى اهتماماته ساعات يومه ،ولا تقتصر أحلامه سوى على توفير لقمة عيشه ،فهل لإنسان كهذا أن يفكر في انجاز حضارة ؟

يجيب بن نبي مالك عن هذا التساؤل بقوله :"أن الفرد لا يتطور في مجتمع جامد وإنما يتدهور فيه "[1]

لذلك فان تدهور المجتمع ثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا يرمي بثقله على كافة أفراده ، ونحن اليوم ندخل عصر القرية العالمية فان المزيد من الاهتمام بإحداث التكامل بين الجوانب المختلفة التي تحيط ببناء مجتمع ما كفيل بتخطي حدود الوهن والأفول وفي هذا الصدد يقول ابن نبي :"أن الحضارة يجب أن تحدد من وجهة نظر وظيفية ،فهي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في كل طور من أطوار

نموه ،فالمدرسة والمعمل والمستشفى ،ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر ،واحترام شخصية الفرد تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي

1-ابن نبي مالك ، في مهب المعركة ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط4 ،2002 ،ص 105.

يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه"[1]

وهذا ما أصبح يتطلبه مجتمع المعرفة من تحسين لظروف الحياة والمعيشة إلى توفير للحرية والأمن والتمكين من ممارسة الديمقراطية على أكمل وجه حتى يتمكن الإنسان من استغلال فرصه في الحياة بأن يعيش كريما آمنا.

3- العامل السياسي :

ويتمثل في ظهور الوثن السياسي الذي يتجلى في شخص الزعيم ، والمشكلة لا تتحدد في النظام السياسي أو في شخص الزعيم بقدر ما تتمثل في الأفكار التي تنتجها الممارسة السياسية للسلطة ، والتي تسعى إلى إخضاع الإنسان وتدجينه .يقول مالك بن نبي :"فمشكلة العلاقات الناتجة عن ممارسة السلطة عموديا أو أفقيا مع الرؤساء والمرؤوسين تتصل مباشرة بقضية تسويغ (الخضوع)بصفته التزاما يعبر على صعيد العمل المشترك عمّا يتطلبه الضمير المهني "[2]

إن التأثير الذي يحدثه العامل السياسي ينعكس سلبا على أداء الإنسان داخل المجتمع ، فتنمية هذا الشعور بالخنوع وحدها كفيلة بإماتة الفكر والأفكار الخلاقة في المجتمع ، فإنسان مجتمع خنوع يستحيل عليه أن يقف في وجه الأزمات أو أن يحقق ذات يوم نهضة ترتقي بحاله وحال مجتمعه ، لأن هذا الشعور أقعده في مخلف الركب فصار يرضى بالقليل ولا يجادل في الحصول على ما هو حق له وذلك لغياب عامل مهم جدا وهو عامل الثقة ، والذي إذا وجد انقلبت الموازين رأسا على عقب فتصبح علاقة الفرد بالدولة علاقة وثيقة لذلك نراه

يبذل الجهد الحثيث في سبيل تحقيق غاياتها ولو على حساب أشياء مقدسة .

1-ابن نبي مالك القضايا الكبرى ،ص43

2-ابن نبي مالك ،بين الرشاد والتيه ،ص46

لذلك فان "صناعة السياسة تعني إلى حد كبير ، تغيير الاتجاه الثقافي في اتجاه ينمي تنمية متناغمة عبقرية أمة ،ومن هنا فصناعة السياسة تعني في آخر المطاف صناعة الثقافة "[1]

فحين تحمل الدولة هموم الإنسان وطموحه وآماله على محمل الجد وتعتبرها مشروعا سياسيا تعطيه من الأولوية ما يستحق من جهد الدراسة والعناية فان الفرد سيقبل على هذا النشاط بعزيمة من حديد فتتطور بذلك عجلة التنمية ويسير المجتمع بأسره صوب النهوض ،وهذا لا لشيء سوى للأهمية الكبيرة التي تعملها الثقافة في توجيه السياسة و ترشيدها.

يقول ابن نبي :"السياسة تكتسب بعدا وطنيا وعالميا بفضل ما تهب لها الثقافة من تفتح على القيم التي اكتسبها الفكر الإنساني عبر الآلاف من السنين ،هناك يتجانس عمل الدولة مع عمل الإنسانية بعدما يكون قد تجانس مع عمل الفرد "[2]

إن التركيز على أهمية الجانب الثقافي في البناء النهضوي كفيل بإزاحة الحواجز بين الدولة والفرد كما يقضي على أسباب الوهن في الذات الإنسانية.

4-العامل الاقتصادي :

إن تصور مالك بن نبي للمسألة الاقتصادية أنها سليلة المسألة الثقافية ومتحدرة منها فالنظام الاقتصادي الذي سيمكن مجتمعا ما من النهوض بأدائه الاقتصادي لابد و أن يكون نابعا من الواقع الجغرافي التاريخي والبشري لهذا البلد بمعنى آخر لا بد أن توجهه أفكار أصيلة ومستنيرة تكون وليدة البيئة الثقافية لهذا المجتمع.ويخطيء من يفصل سيرورة التطور الاقتصادي عن التطور الاجتماعي الثقافي للمجتمع ،فعالم الأفكار هو الذي يرسم حدود عالم

الأشياء ،بالإضافة إلى أن العامل البشري هو المحرك الم هم لعجلة الاقتصاد ،فمن جهة نجد أن المهارات الإنسانية تساهم بجهدها الفكري في إنتاج الآلات والماكنات ومن جهة أخرى

1-المرجع السابق،ص89

2-المرجع نفسه ،ص90

تساهم بجهدها العضلي في تسيير أمور العمل الاقتصادي.

وإذا كان الوضع الحالي في مجتمع المعرفة يتطلب الاعتماد على القطاع التكنولوجي كأحد القطاعات الهامة والتي تمثل الصورة الواضحة عن استعمال المعرفة العلمية وإنتاجها فان مالك بن نبي يربط العامل التكنولوجي أيضا بالعامل البشري حيث يقول :"أن مشكلة التجهيز مرتبطة بقضية الإنسان والأفكار ،،وأن المحصول الاجتماعي للآلات مرتبط بفعالية وسلوك الفرد الذي يستخدمها "[1]

فقد يعمد البعض إلى التوجه منحى الآلة معطيا إياها قدرا كبيرا من الاهتمام في حين يهمل العامل القائم عليها ،فلا يمكن مثلا أن نتخلص من الأمية المعلوماتية عن طريق تعميم اقتناء أجهزة الإعلام الآلي ، أو استخدام البطاقات الممغنطة ،صحيح أن هذه الآلات التي تمثل مفرزات الفكر التكنولوجي تساهم في تسهيل القيام بالأمور كجعل الوصول إلى المعارف أمرا متيسرا إلا أنها لا تكفي وحدها لإحداث نه ضةِ تكنولوجية أو علمية ،فاقتناء الآلات سيؤدي بنا إلى التركيز على عالم الأشياء وإهمال عالم الأفكار من جهة ،ومن جهة أخرى فانه سيغير اهتمامنا من الاهتمام بالحضارة إلى منتجاتها فنسقط في فخ التكديس

"فالحضارة هي التي تصنع منتجاتها "[2]

وقد احتلت مظاهر النهوض عالمنا ،من تشييد المباني والمرافق العامة ،والمراكز التدريبية والتعليمية ،إلا أن ذلك لم يكن كفيلا لوحده أن يزيل بذور التخلف.فالتخطيط والعمل للتقدم الاقتصادي"ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصانع فحسب،

بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات "[3]

1-ابن نبي مالك ،القضايا الكبرى ،ص57

2—المصدر والمكان نفسه

3- ابن نبي مالك،المسلم في عالم الاقتصاد ،ص58

وعلى هذا الأساس فان إقامة بنية اقتصادية متطورة تواكب مجتمع المعرفة وتحولاته يسبق بإعداد الإنسان المتمكن من معرفة تمكنه من مواكبة احتياجات العصر ومتطلباته ،وذلك لا يتحقق إلا بالتربية التي تحقق توازنا بين الجانب المادي والجانب الروحي .

فالتخطيط للنهضة يتطلب مجهودا كبيرا تأخذه الدولة على عاتقها ،فتقوم بتحديث مناهج التدريس فيه وطرائقه حتى يصبح متماشيا مع التعليم الراقي ،وتحقق الجودة التعليمية يتوقف ويقوم على مخرجات العملية التعليمية من فئات متمدرسة وقدرة هذه الفئات على إحداث نقلة نوعية في تطور المعرفة داخل مجتمع ما ف"الحياة الاقتصادية لا ترتبط فقط بأجهزة ذات طابع فني ومالي وتنظيمي بل هي قبل ذلك مرتبطة بأجهزة نفسية موجودة في المعادلة الشخصية لدى الفرد الذي يفكر في الخطط وينفذها وهذه المعادلة ليست من المعطيات البسيطة التي نجدها تلقائيا في الجهاز الميكانيكي الذي نقتنيه لتجهيز مصنع ولكنها شيء يكتسب جنبا إلى جنب مع تكوين ونمو الثقافة " [1]

5-العامل الاستعماري :

من أبجديات الصراع تحطيم الآخر معنويا ،لان الانقياد لا يكون إلا بعد انكسار الذات ،فالخيول البرية لا تصبح أليفة إلا إذا روّضت ترويضا ،والاستعمار مهما كان نوعه يعمل على تدجين الإنسان وهدم كل الأفكار الحية التي تعبر عن وجوده ، في حين يقابل ذلك بنشر الأفكار القاتلة وتمريرها عبر البلد ذاته لتكون غايته من ذلك خلق كائن قابل للاستعمار ،يشعر بالتبعية له ويصبح منقادا إليه في تصوراته وأفكاره وفي مطامحه وآماله.

ويرتبط الاستعمار بسيكولوجية تفرز عقدتين :الأولى عند المستعمر إذ يشعر بضرورة الاستعمار كضرورة الأم للطفل ،وعندئذ يصبح إنسانا تابعا ،والعقدة الثانية تنشأ في ذات المستعمر تتجلى في التعالي والاستهجان والشعور بالتفوق .

1-ابن نبي مالك ،بين الرشاد والتيه ،ص79

ومحاولات الاستعمار لقتل موهبة الإبداع وملكة التفكير في الفرد المستعمر تمر عبر المراحل التالية :

1-الفلسفة الاستعمارية :

فقد بذل رواد الفكر الاستعماري جهدهم من أجل تبرير الاستعمار ووصفه بالعمل الحضاري وتهدف فلسفتهم الاستعمارية إلى غايتين :

أ-تغليط الرأي العام والمجتمع المدني في مدينتهم أو في بلدانهم من خلا ل تمرير خطاب يقوم على أساس أن ما وراء الغرب خارج عن نطاق الإنسانية ،وعليه يعتبر مجرد تابع ،ونلاحظ هنا مدى توظيفهم لعدة مصطلحات تعكس نظرة التحقير والاستهجان للإنسان صاحب الأرض أو الإنسان المستعمر إذ يوصف بأنه الأهلي أو الإنسان الملون ،وفي الحقبة الحديثة من تاريخ البشرية أصبح يوصف بصفات أخرى تعيق تطوره ونماءه كما أن الهدف منها هو تظليل الهدف والطريق إلى النهضة وذلك عن طريق زرع المفاهيم الزائفة كالشعب النامي آو السائر في طريق النمو ،أو شعوب العالم الثالث التي تأخذ ترتيبا في أدنى القائمة هدفه إحباط الروح المعنوية وشل كل إرادة هادفة للتقدم.

ولقد مثل ارنست رينان التيار الفكري الاستعماري تمثيلا فاق كل تصور إذ يبرز الاستعمار في قوله :"الاستعمار إنه ضرورة سياسية في الدرجة الأولى ،إن غزو بلد من عرق أدنى من قبل بلد من عرق أعلى لا يدعو إلى الاستهجان عندما يكون الأمر بين الأعراق المتساوية فذلك يدعو إلى الاستنكار ،الطبيعة خلقت عرق الشغيلة إنه العرق الصيني ذو المهارة اليدوية المدهشة دون الإحساس بالمهانة من العمل ،احكموه بالعدل فسوف يكون راضيا ،ثم خلقت عرق عمال الأرض ،إنه العرق الزنجي ،كن معه طيبا وإنسانا وسوف تجري الأمور كما ينبغي "[1]

---

[1]-ابن نبي مالك ،القضايا الكبرى ،ص ص /77-78

ب-تهيئ الإنسان المستعمر عن طريق إشعاره بالدونية واللاقيمة مع إبراز قيمة التفوق العرقي التي تمنح الغربي حق السيادة والتحكم في الآخر بحق الطاعة .

إلا أن كل هذه المساعي الاستعمارية الداعية إلى رفض وجود المستعمر ،والتي تعمل من أجل تقويض فرض نجاحه ورقيه فإن مالك بن نبي يضيف هذه العبارة :"فكما أنه ليس للاستعمار أن يتصرف في الزمان والمكان فكذلك لا يستطيع أن يتحكم في عبقرية الإنسان "[1]

فكذلك الحال الآن بالنسبة للمجتمعات العربية التي تهب لأن تدخل مجتمع المعرفة فإن مواهب أفرادها وملكات تفكيرهم تبقى بالنسبة لها كنزا كامنا ما عليها سوى استخراجه واستثماره ، ومن هنا تغدو ضرورة الاهتمام بالدرجة الأولى بتغيير النظرة إلى الواحد من الناس أيا كان مجال عمله وذلك بالكف عن التعامل معه كقاصر معرفي أو كأبله ثقافي يحتاج من ينوب عنه في التفكير والتقدير والتدبير ،فكل يستطيع أن يدلو بدلوه في مجال المعرفة وإذا كان هدف الفيلسوف المعرفة الشاملة فلا بد لنا من تتبعها في محاضنها الأولى أي في فكر الناس العاديين .

1- بن نبي مالك ،شروط النهضة ،ص 150

الخاتمة

الخاتمة :

لا شك أن لكلمة معرفة بريقا خاصا لدى كل إنسان ،فهي غذاء للعقل الذي ميزه الله به من سائر مخلوقاته ،وهي المادة الخام اللازمة لعمل هذا العقل ،وهي أيضا مصدر محفز إلى التفكير وتقديم عطاء معرفي متجدد شارك فيه الإنسان في كل مكان عبر مرور الأزمان ولعل كلمة معرفة تصبح أكثر جاذبية عندما تقترن بكلمة مجتمع ففي هذا الاقتران تصبح المعرفة ،وما تستند إليه من علم وتفكير ،المحور الرئيس لحياة الإنسان وثقافته ،وجهوده ومنجزاته ،وعلاقته مع أخيه الإنسان.

وعندما تضاف كلمة نهضة فإننا نجد أنفسنا أمام تحرك مدروس نحو بناء مجتمع معرفي نتطلع إليه ،ونأمل من خلاله أن نحقق نماء ،ليس اقتصاديا فقط ،بل اجتماعيا وإنسانيا أيضا.

مجتمع المعرفة المنشود ليس فقط بحوثا ومبتكرات علمية وتقنية يمكن توظيفها لتقديم منتجات وخدمات متميزة تؤدي إلى توليد الثروة ،وليس فقط تعليما ونشرا للمعرفة العلمية والتقنية يحقق إسهام الجميع في توليد هذه الثروة ومشاركتهم فيها ،كما أنه ليس فقط ثقافة تخاطب الإنسان وتحفزه إلى التفكير وسلوك طريق الحكمة والتواصل الايجابي مع الآخرين في حياته الشخصية والاجتماعية والمهنية ،بل هو كل ذلك ،إنه تفاعل متواصل للمعرفة المفيدة يحفز استيعابها وتوليدها ،ويعزز انتشارها ومشاركة الجميع فيها ،ومسؤوليتهم عن توظيفها والاستفادة منها اقتصاديا واجتماعيا وإنسانيا.

وعلاقة الإنسان في هذا الوجود باعتباره موجودا يؤثر ويتأثر به لقت إقبالا كبيرا وقد عالجها جملة من الفلاسفة ،كما أرهقت علاقة الإنسان بعالم الأفكار وعالم الأشياء اهتماما كبيرا من قبل فيلسوف الحضارة ، إذ انصب عمله على كشف المستور وتوضيح الغامض وأهمية كل من هذين الجانبين في تنمية مهارات وأداء الإنسان المفكر ،وإكساب الفعالية لمختلف النشاطات التي يمتهنها.

فكان مطلب النهضة مطلبا عربيا مشروعا خاصة بالنظر إلى جملة الحالات المأساوية المتخلفة التي عاشها طيلة عهود الكساد ،إلا أن الوسيلة الناجعة لتحقيق هذا المطلب لم تتوافق

في أغلب الحالات مع الحالة الثقافية والاجتماعية للمجتمع العربي ،إذ أصبح البعض يرى في النموذج الغربي النموذج الأمثل والأصلح للاقتداء ،وبأنه أسهل وأنجع السبل التي يمكن أن يسلكها ،فكانت هذه النظرة تنحو منحا ماديا بحتا ،فركزت على إثراء الوسط العربي بمنجزات حضارة ناجحة ظنّا منها أن في ذلك دفع لحركية التنمية والنهضة ،ولو أن هذا السبيل انتهجته اليابان من قبل والذي ساعدها على انبثاق حضارتها ونهضتها التي اخترقت الأفق واكتست السماء ،فكلا النهضتين اعتمدت على الآخر في تكوين وتطوير بنيتها التحتية إلا أن اليابان ركزت على جانب مهم فيه وهو صناعة الأفكار ،فراحت تنسج على منواله فركزت على الإنسان باعتباره الركيزة المهمة في كل عمل ،لأنه المحضنة التي تدجن الأفكار وتولدها.

أما الاتجاه الثاني والذي ركز على عالم الأشياء فقد تسبب في هدر كبير للجهد المالي والزمني ،كما أنه ابتعد آلاف الخطوات عن تحقيق هدفه ،إنه لم يسع في سبيل تحقيق نهضة حضارية ،إنه سعى إلى كسب مقتنياتها وإلى إفشاء مظاهرها ،فكانت صفة التابع حقا صفة جديرة بأن يتصف بها هذا الطرف.

فالأفكار هي التي تنسج ملامح القوة والضعف في أي مجتمع كان ،لأنها ببساطة خلاصة العقل المبدع الناظر المتأمل في نفسه وفيما حوله ،إنه العقل الذي يفكر في مواضيع الوجود والواقع ويتفاعل معها ،كما يفكر في وجوده هو أيضا ،في إمكاناته في حدوده حتى يتجاوزها في عوائق رقيه وصدارته حتى يزيلها عن طريقه ،فيفتح لنفسه مكامن الإبداع ويجدد الطاقة للتجديد ،وللنظر في كل جديد وقديم ولكن بأسلوب نقدي استفهامي يسبغ عليه طابع الجدة هو أيضا ،هذا هو التفكير الذي يرفع حال الأمم من الحضيض إلى القمم ،وهو الغاية المنشودة في كل بناء عملي هام ،فلا يمكن إقامة البنيان على الخيال دون التنظير ،ولا يمكن لأي فئة حكيمة تنشد التغيير أن تحقق مرادها دون أن تتوفر فيها سمة الفكر الناضج الذي يشتعل نقدا وإبداعا ، فمكمن التخلف في أنفسنا وليس في ندرة وسائلنا ،فلا يمكن لأي قوة أن تقود الأمة إلى النهضة ما لم يسندها فكر قوي راجح ،فكم من قوة هدرت في سبيل التغيير البناء إلا أنها حادت عن طريقها فما سببت إلا الشقاء.

إذن السبب الرئيس في تخلف مجتمعاتنا هو في تخلف تفكيرنا، فكيف السبيل إلى تنمية التفكير؟

إنها الشعلة التي لا تنطفئ ،إنها فجر الحرية ومشرق النهضة إنها الفلسفة باعثة الأرواح ،إنها تبعث بأرواح اليقظة حتى تجوب أركان الوجود علها تلتقي ذات يوم فكرا متأملا فتمده بترياق الحكماء ،الفلسفة كانت ولا تزال محطمة الأنقاض وهادمة الأسس وبانية الصروح العظيمة ، فحاجتنا اليوم إليها توازي حاجتنا للنهوض إذ أنها الوسيلة التي لطالما عدمناها في كل بناء وتشييد ،فما إن تتخذ كل نهضة بعدها الفلسفي فإنها ستبزغ أمام العيان لا لشيء سوى لأن تفكيرها الشمولي سينعكس عليها ،وخاصية التجدد والانبعاث ستنتقل إليها ،إنها محرر الفكر والإنسان من أيديولوجيات الواقع البائس ،فقد عانى الفكر العربي ولازال أزمة التكديس والتقديس ،فأصبح بحاجة إلى من ينفض عنه تعلقه بعالم الأشياء والأشخاص ويخلصه من وثن الأفكار ،إن عالمنا العربي غني بالثروات ولا ينقصه سوى ثورات تحسن توجيه واستخدام هذه الخيرات ، إننا بحاجة اليوم إلى إمعان النظر في طريقة نظرنا للأمور ومضطرون لتحليل أساليب تحليلنا للواقع ،إننا مطالبون بتنمية تفكيرنا بنفس الجهد الذي كنا نسعى لتنمية واقعنا ولكن تنمية ناهضة لا تنمية متخلفة.

وفي الأخير وبالرغم من النقائص المسجلة في هذا العمل إلا أننا نرجو أن تكون فاتحة لآمال أكبر ولاستفهامات أعمق .

فإذا كانت الفلسفة تساهم في قيام مجتمع المعرفة عن طريق إعداد الأفراد إعدادا يليق بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم ،فإذا كانت تطلب منهم النهوض والتغيير والتنمية فإنها لا بد أن تنمي تفكيرهم وتقوي مهاراتهم النقدية والإبداعية في آن معا ،إذا كانت هذه مهمة الفلسفة ودورها في إقامة مجتمع المعرفة ،فما الذي يقدمه مجتمع المعرفة من أسئلة وإشكالات تكون المادة الخام التي تهتم الفلسفة بالنظر فيها ؟ و ما هي هذه الأسئلة الجديدة التي ستطرح في مجتمع المعرفة وكيف ستجيب الفلسفة عليها ؟ وهل من طريق إلى مجتمع الحكمة بدلا من مجتمع المعرفة ؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1-**المصادر :**

1-بن نبي مالك ،القضايا الكبرى ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ،دار الفكر دمشق ،سوريا ط2، 2000.

2-بن نبي مالك ،شروط النهضة ترجمة عبد الصبور شاهين ،عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر ،دمشق ،1986،دون طبعة

3-بن نبي مالك ،الظاهرة القرآنية ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر دمشق ،دار الفكر المعاصر بيروت ،ط5 ،2005

4-بن نبي مالك ،تأملات ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط2 ،2002

5-بن نبي مالك ،المسلم في عالم الاقتصاد ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،دار الفكر دمشق ط4 ،2000

6-بن نبي مالك ،دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،دار الفكر دمشق ط1 ،1978

7-بن نبي مالك ، في مهب المعركة ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط 4 ،2002

8-بن نبي مالك ،مشكلة الثقافة ،تعر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر المعاصر بيروت ،دار الفكر دمشق ،ط5 ،2000

9-بن نبي مالك ،وجهة العالم الإسلامي ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،بيروت ،دار الفكر ،دون طبعة ودون سنة الطبع

10-بن نبي مالك ،بين الرشاد والتيه ،دار الفكر الجزائر ،ط2 ،1988

11-كيث دقلين،الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات ،تعر شاذن الياني ،مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية،ط،2001.

12-نيتشه فريدريك ، إنسان مفرط في إنسانيته ،ترجمة محمد الناجي ، إفريقيا الشرق 1998 دون طبعة

13- نيتشه فريدريك ،العلم المرح،ترجمة وتقديم حسان بورقية ، أفريقيا الشرق ،ط 1 1993الدار البيضاء المغرب

14-نيتشه فريدريك ،أفول الأصنام ،تر حسان بورقية ومحمد الناجي ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط1 ،1996 .

15-فوكوميشال ،حفريات المعرفة ،ترجمة سالم يافوت ،المركز الثقافي العربي الكويت،الدار البيضاء المغرب ،ط1 ،1986

16-حرب علي ،الفكر والحدث ،دار الكنوز الأدبية بيروت لبنان ،ط1 ،1997 .

17-حرب علي ، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ط1 ،1994

18-أركون محمد ،تعريب الدكتور عادل العوا،الفكر العربي ،منشورات عويدات ،باريس ط3،سنة1985

19-سبينوزا باروخ،علم الأخلاق ،تعر جلال الدين سعيد ،دار الجنوب للنشر ،تونس ، (دون طبعة ودون سنة الطبع)

20-هاليداي فريد ،الكونية الجذرية لا العولمة المترددية ،تر خالد الحروب ،دار الساقي ،ط 1 2002 ،لبنان

21-فتجنشتين لدفيج ،رسالة منطقية فلسفية ،تر د عزمي إسلامي ،ملزمة الطبع والنشر ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة (دون طبعة) 1968 .

22-ليبمان ماثيو،المدرسة وتربية الفكر ،تر د إبراهيم يحي الشيهابي ،منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،دمشق ،دون طبعة ،1998

23-اويزرمان ثيودور ،تطور الفكر الفلسفي ،تر سمير كرم ،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،ط4 ،1988 ،ص76

24- أفلاطون،الجمهورية ،ترجمة د فؤاد زكريا ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،2004 (دون طبعة)

25-ياسبرس كارل ،عظمة الفلسفة ،تعر الدكتورعادل العوا،منشورات عويدات باريس لبنان ،ط4 ،1988

26-Bertrand Russel. Ma conception du monde.traduite de l`anglais par Louis Evard .édition Gallimar -1962

- المراجع :

27-الجابري محمد عابد ،قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 1 1997

28-مجاهد عبد المنعم مجاهد ،الفلسفة على شجرة المستقبل ،الأعمال الكاملة ج 3،دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ،ط1، 2001 .

29-الميلاد زكي ،المسألة الحضارية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 1 ، 1999

30-الملطاوي حسن ،فلسفة التقدم عند العقاد ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط 1 ،1996 ،ص208

31-مهيبل عمر ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط2، 1993

32-محمد عابد الجابري ،التنمية البشرية في الوطن العربي الأبعاد الثقافية والمجتمعية ،سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2،صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا ،وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي 1995

33-د الحجازي مصطفى ، الإنسان المهدور ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط 2 2006

34-برقاوي أحمد ،محاولة في قراءة عصر النهضة ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،ط2، 1999

35-د القرني عزت ،العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة ،سلسلة عالم المعرفة 30،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،دون طبعة 1980، .

36-علي نبيل العقل العربي ومجتمع المعرفة ،ج 2،سلسلة عالم المعرفة رقم 369،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،نوفمبر 2009 .

37-العرابي فهد ،المعرفة قوة والحرية أيضا ،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت لبنان ط1 ،2010

38-بوزيد بومدين ،التراث ومجتمعات المعرفة ،منشورات الاختلاف الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،2009

39-الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية ، تأليف جماعي ،المجلس الأعلى للغة العربية ،وزارة الثقافة ،منشورات المجلس ،2008.

40-حنفي حسن ،حصار الزمن الحاضر ،مركز الكتاب للنشر القاهرة ،ط 1 ،2004 .

41-الحسيني عبد المحسن ،التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة ،الدار العربية للعلوم بيروت ،ط1 ،2008

42- د بودبوس رجب ، تبسيط الفلسفة ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ،ليبيا ط1 ،1996 .

43-الجابري محمد عابد ،إشكاليات الفكر العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط5 ،2005 .

الدوريات :

44-مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 32 ،تشرين الأول 1984 ،لبنان .

45- محلة الجمعية الفلسفية المصرية ،العدد9سنة2000

46-مجلة المستقبل العربي عدد أغسطس 2007

47-مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 35،حزيران1985 ،لبنان

48 -مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 18 ،كانون الأول 1981 –كانون الثاني 1982 القاهرة .

49-مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد 104-1999105 -،لبنان .

50-مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ،عدد 9 سنة 2000.

51-مجلة الفكر العربي المعاصر ،العدد57/56اكتوبر 1988،لبنان

المعاجم :

52-الدكتور مصطفى حسيبة ،المعجم الفلسفي ،دار اسامة للنشر والتوزيع ،عمان الاردن ط1، 2009.

53-المنجد في اللغة العربية والأعلام ،دار المشرق بيروت ،الطبعة 26سنة 1983(دون ذكر اسم المؤلف)

54-الشيخ العلامة التهانوي الحنفي محمد علي بن علي ، كشّاف اصطلاحات الفنون ،المجلد الثالث ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،.1998

55-إبراهيم مصطفى وآخرون ،المعجم الوسيط ،دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ،ط(2دون سنة الطبع) .

56-د ألحفني عبد المنعم ،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،مكتبة مدبولي القاهرة ،ط3سنة.2000

57-الحلو عبده ،معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي ،المركز التربوي للبحوث والانماء ،مكتبة لبنان دون طبعة ودون سنة الطبع.

58-مراد وهبة المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر ،القاهرة،مصر ،دون طبعة .2007

59-Elisabeth Clment-Chantal Demonque et autres.La philosophie de AaZ .édition Hatier. Paris.1994

- 60André Comte-Sponville. Dictionnaire philosophique .Press Universitaire du France.1^{ere} édition.2001

الفهرس

الفهرس

ملخص المذكرة :

أن الناظر إلى مسيرة تطور المجتمعات المتقدمة وما حققته من ريادة في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليدعونا الى معاودة النظر في الأسس والمبادئ التي ننتهجها في سبيل التطور والرقي ،إذ أصبح ما يطلق عليه اسم مجتمع المعرفة من الميزات الأساسية المعبرة عن الرقي والتمدن الحضاري ،إلا أن المجتمع العربي أصبح يسير بخطى حثيثة في سبيل تدارك مأزق التخلف ،سعيا منه إلى الالتحاق بالركب الحضاري .

فقد كان ولا زال مطلب النهضة والتنمية مطلبا مشروعا تسعى المجتمعات العربية لتحقيقه

فهل يمكن أن يكون مجتمع المعرفة هو الطريق للنهضة ؟ وكيف ذلك ؟

وهل نمتلك الموارد المادية والعينية للدخول في هذا المجال ؟ وكيف يمكن للفلسفة أن تساهم في قيام مجتمع المعرفة كمحور للنهضة ؟ وكيف اهتمت بالعنصر البشري باعتباره منتجا وناشرا للمعرفة ؟

الكلمات المفتاحية :

النهضة؛ التنمية؛ مجتمع المعرفة؛ مجتمع التعلم؛ الفلسفة؛ التنمية الإنسانية؛ مجتمع التقصي؛ مجتمع المعلومات؛ تنمية التفكير؛ فلسفة التعلم والتفكير.